الفتوى الحموية الكبرى

تأليف

(شيخ الاسلام علم الاعلام العالم الربانى)

تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام

الشهير بابن تيمية الحنبلي

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

قدس الله روحه

ونور ضريحه

﴿ طبعت على أصل هندى مقابل على نسخة خطية بالمدينة المنورة ﴾

الطبعة الرابعة

وقف على تصحيحها بقدر الامكان وتعليق حواشيها الراجى عفو ربه

محمد عبد الرزاق حمزه

المدرس بالمسجد الحرام ـ بمكة المكرمة

طبعت بنفقة

محمد صالح بن حسن نصيف

مطبعة السلفية ـ بمكة المكرمة

١٣٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام العالم الرباني «تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام» رحمه الله تعالى وذلك في سنة ثمان وتسعين وستمائة هـ وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن [1] وهو جواب عظيم النفع [2] جداً فقال السائل :

ماقول السادة الفقهاء أئمة الدين في آيات الصفات كقوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وقوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ الى غير ذلك من الآيات ، وأحاديث الصفات كقوله ﷺ « ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من اصابع الرحمن » وقوله « يضع الجبار قدمه في النار » إلى غير ذلك ، وماقالت العلماء فيه وابسطوا [3] القول في ذلك مأجورين ان شاء الله تعالى فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، قولنا فيها ما قال الله ورسوله ﷺ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين اجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره ، فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، وشهد له بأنه بعثه داعياً اليه باذنه وسراجاً منيرا وأمره أن يقول ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

فمن المحال في العقل والدين ان يكون السراج المنير الذي اخرج الله به الناس من الظلمات الي النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

---

(١) يشير الى قيام العلماء الجامدين والمتعصبين على الشيخ كما هو مشهور فى ترجمته رحمه الله ورضي عنه (٢) فى نسخة : نافع (٣) ن : وليبسطوا

وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو الى الله والى سبيله باذنه على بصيرة. وقد أخبر الله بانه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته - محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الايمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز بين ما يجب لله من الاسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فان معرفة هذا اصل الدين وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا؟

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة (١) وقال: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» (٢) وقال فيما صح عنه ايضاً «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل امته على خير ما يعلم لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علماً، وقال عمر ابن الخطاب: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه، رواه البخاري

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وان دقت ان يترك تعليمهم مايقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم (٣) في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته اشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الالهية فكيف يتوهم من في قلبه ادنى مسكة

(١) الخراءة بكسر الخاء: أدب التخلي، والكلام اشارة إلى حديث سلمان عند مسلم وأحمد - قال بعض المشركين وهو يستهزىء: إني لأرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة قال: أجل الخ (٢) أخرجه ابن ماجه (٣) ن: بألسنتهم وقلوبهم:

من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وافضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة ـ القرن الذي بعث فيه رسول ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين لان ضد ذلك إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع (أما لاول) فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه اكبر مقاصده وأعظم مطالبه . أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته ـ وليست النفوس الصحيحة الى شيء اشوق منها الي معرفة هذا الامر . وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية ، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات ان يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم إنكبابا[1] على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك ؟ وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائله[2] فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام في هذا الباب عنهم اكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى واضعافها ، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ، ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها : من ان طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ـ وان كانت هذه العبارة اذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً فان هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف انما أتوا من حيث ظنوا ان

(١) ن : اكبابا (٢) ن : قائليه

طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بانواع المجازات[1] وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الامر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الامر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى — وهي التي يسمونها طريقة السلف — وبين صرف اللفظ الى معان بنوع (من) التكلف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف - فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه، فلما انبنى امرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الاولين واستبلاههم واعتقاد انهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهي وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله

ثم هذا القول اذا تدبره الانسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون — لا سيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف[2] على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه أمرهم

(١) ن : المجازفات

(٢) هو الشهرستاني كما ذكره الشيخ في العقل والنقل ص ٨٩ ج ١

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم [١]:

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

« لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ - إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ واقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ - وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي » ويقول الآخر [٢] منهم : لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان ، وها أنا اموت على عقيدة امي » ويقول لآخر منهم . اكثر الناس شكا عند الموت اصحاب الكلام » ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا [٣] من ذلك على عين ولا اثر . كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون [٤] المسبوقون الحيارى المتهوكون اعلم بالله واسمائه وصفاته واحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين تبعوهم باحسان من ورثة

---

(١) هو الرازي في كتابه أقسام اللذات الذي صنفه في آخر عمره وهو كتاب مفيد قاله الشيخ ابن القيم في اجتماع الجيوش الاسلامية ص ١٢١ طبعة مصر

(٢) هو أبو المعالي الجويني الملقب بامام الحرمين كما ذكره الشيخ في التسعينية ص ٢٠١ (٣) ن : ولم يقفوا (٤) ن : المنقوصون ن : المنقصون

الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء فضلا عن سائر الامم الذين لا كتاب لهم ، واحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة

ثم كيف يكون خير قرون الامة انقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله واحكام اسمائه وآياته - من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم ؟ ام كيف يكون افراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين واشكالهم واشباههم اعلم بالله من ورثة الانبياء واهل القرآن والايمان

وانما قدمت هذه المقدمة لان من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى اين هو في هذا الباب وغيره ، وعلم ان الضلال والتهوك انما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم واعراضهم عما بعث الله به محمدا ﷺ من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين ، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه ، وبشهادة الامة على ذلك ، وبدلالات كثيرة وليس غرضي واحدا معينا وانما اصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء واذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله الى آخره ، وسنة رسوله ﷺ من أولها الى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الائمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر في ان الله سبحانه وتعالى هو العلي الاعلى ، وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء ، وانه فوق العرش ، وانه فوق السماء مثل قوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ - إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ - أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ - أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا - بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ - تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ - يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ - يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ - ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ في سبعة

مواضع ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً ـ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ـ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ الى امثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بالكلفة ، وفى الاحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى الا بالكلفة مثل قصة معراج الرسول الى ربه ، ونزول الملائكة من عندالله وصعودها اليه ، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار « فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو اعلم بهم » و في الصحيح في حديث الخوارج « ألا تأمنوني وانا امين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء » و فى حديث الرقية الذي رواه ابو داوود وغيره « ربنا الله الذي فى السماء ، تقدس اسمك ، امرك فى السماء والارض ، كما رحمتك فى السماء اجعل رحمتك فى الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع » قال ﷺ « اذا اشتكى احد منكم أو اشتكى اخ له فليقل ربنا الله الذي فى السماء » وذكره وقوله فى حديث الاوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما انتم عليه » رواه احمد وابو داود وغيرهما وقوله فى الحديث الصحيح [1] للجارية « اين الله » قالت فى السماء قال : « من انا » قالت انت رسول الله قال « اعتقها فانها مؤمنة » وقوله فى الحديث الصحيح « ان الله لما خلق الخلق كتب فى كتاب موضوع عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي » وقوله في حديث قبض الروح « حتى يعرج به الى السماء التي فيها الله » وقول عبد الله بن رواحة الذي انشده للنبي ﷺ واقره عليه .

شهدت بأن وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرينا

وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

---

(١) يعنى صحيح مسلم

وقول امية بن ابي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال : « آمن شعره وكفر قلبه »[(١)]

مجدوا الله فهو للمجد اهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق النا - س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا[(٢)] ما ينـاله بصر العـ ـين ترى دونه الملائك صُورا

وقوله في الحديث الذي في المسند[(٣)] «ان الله حي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفراً» وقوله في الحديث « يمد يديه الى السماء يقول يارب يارب»[(٤)] الى امثال ذلك مما لا يحصيه الا الله مما هو من ابلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينا من ابلغ العلوم الضرورية ان الرسول المبلغ عن الله القى الى امتـه المدعوين ان الله سبحانه على العرش وانه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الامم عربهم وعجمهم فى الجاهلية والاسلام الا من اجتالته الشياطين عن فطرته ، ثم عن السلف فى ذلك من الاقوال مالوجمع لبلغ مئين او ألوفا ، ثم ليس فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله ﷺ ولا عن احد من سلف الامة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ، ولا عن الأئمة الذين ادركوا زمن الاهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا ، ولم يقل احد منهم قط ان الله ليس في السماء ولا انه ليس على العرش، ولا انه بذاته في كل مكان ، ولا ان جميع الامكنة بالنسبة اليه سواء، ولا انه لا داخل العالم ولا خارجه ، و (لا أنه) لا متصل ولا منفصل ، ولا انه لا تجوز الاشارة الحسية اليه بالاصابع ونحوها ، بل قد ثبت فى الصحيح[(٥)] عن جابر بن عبدالله

---

(١) فى اسنى المطالب : رواه الخطيب وهو ضعيف (٢) قوله شرجعاً اى طويلا (صورا) جمع اصور اى المائل العنق (٣) ن : السنن (٤) فى الترغيب والترهيب : رواه مسلم والترمذى من حديث ابى هريرة — أى فى حديث طويل فى الترغيب فى اكل الحلال (٥) يعنى صحيح مسلم

ان النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في اعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول «الاهل بلغت؟» فيقولون نعم فيرفع اصبعه الى [1] السماء وينكبها اليهم ويقول «اللهم اشهد» غير مرة وامثال ذلك كثيرة

فان كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصاً واما ظاهراً فكيف يجوز على الله، ثم على رسوله، ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائماً بما هو نص او ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهراً، حتى يجيء انباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف او كل فاضل ان يعتقدها . لئن كان [2] ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك احيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وان يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً او ظاهرا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة اهدى لهم وانفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضاً في اصل الدين

فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء: انكم يامعشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً واثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الامة، ولكن انظروا انتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به ـ سواء كان موجودا في الكتاب والسنة او لم يكن - وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به

ثم هم ههنا فريقان (اكثرهم) يقولون: مالم تثبته عقولكم فانفوه (ومنهم) من يقول بل توقفوا فيه ـ وما نفاه قياس عقولكم الذي انتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا اكثر من جميع اختلاف على وجه الارض فانفوه، واليه عند التنازع فارجعوا

---

(١) ن : نحو (٢) ن : لان كل ولا يظهر وجهها

فانه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا او يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة اكثرهم فاعلموا أني امتحنكم لا لتعملوا بتنزيله ، ولا لنأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الالفاظ وغرائب الكلام وأن[1] تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله[2] مع نفي دلالته على شيء من الصفات . هذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء المتكلمين . وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه ومضمونه ان كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول بل الى مثل ما كانو عليه في الجاهلية والى مثل ما يتحاكم اليه من لا يؤمن بالانبياء كالبراهمة ([3]) والفلاسفة وهم المشركون والمجوس ([4]) وبعض الصابئين ([5]) و إن كان هذا الرد لا يزيد الامر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به ، اذ لكل فريق طواغيت يريدن أن يتحاكموا اليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم ، وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله([6]) سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ﴾ فان هؤلاء إذا دعوا الى ما أنزل الله من

---

(١) ن : أو ان (٢) ن : باسقاط لفظ الجلالة وتشديد الياء من الى
(٣) كهان الهند الوثنيين (٤) عباد النار من الفرس
(٥) الصابئون عباد الكواكب من الروم والهند ونحوهم
(٦) اى بحال من ذكرهم فى قوله الخ

الكتاب وإلى الرسول — والدعاء اليه بعد وفاته هو الدعاء الى سنته — أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : انا قصدنا الاحسان علماً وعملا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا اكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين او الصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم قال الله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ـ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ الآية ـ ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا شفاء لما في الصدور ، ولا نورا ولا مردا عند التنازع لانا نعلم بالاضطرار ان ما يقوله[1] هؤلاء المتكلفون : انه الحق الذى يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهراً ، وانما غاية المتحذلق ان يستنتج هذا من قوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) ـ (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) وبالاضطرار يعلم كل عاقل ان من دل الخلق على ان الله ليس على العرش ، ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيا) لقد ابعد النجعة وهو اما ملغز واما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في اصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة[2] زادتهم عمى وضلالة .

يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا احد من سلف الامة هذه الآيات والاحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم و[3] اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا

(١) ن : يقول (٢) ن : الرسل (٣) ن : أو

ظاهره وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا[1] فتوقفوا فيه أوانفوه.

ثم رسول الله ﷺ قد اخبر بان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقه[2] فقد علم ما سيكون ثم قال « انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله » وروي عنه انه قال في صفة الفرقة الناجية «هم من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي» فهلا قال من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضال ، وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة في هذه المقالة وان كان قد نبغ اصلها في اواخر عصر التابعين.

ثم اصل هذه المقالة ـ التعطيل للصفات ـ انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان اول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام ـ اعنى ان الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وانما استوى بمعنى استولى ونحو ذلك ـ اول ما ظهرت هذه المقالة من جعد[3] بن درهم واخذها عنه الجهم بن[4] صفوان واظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه وقد قيل ان الجعد اخذ مقالته عن ابان بن سمعان واخذها ابان من طالوت بن اخت لبيد بن الاعصم

(١) ن: لا يوافقه (٢) رواه ابو داود والترمذي واحمد

(٣) قال الذهبي فى الميزان فى ترجمة الجعد: عداده فى التابعين ضال مبتدع زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق والقصة مشهورة اه وقال الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان: وللجعد أخبار كثيرة فى الزندقة وساق واحدة منها فراجعه (٤) قال الذهبي: الجهم ابن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك فى زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا ولكنه زرع شرا عظيما اه ميزان. وذكر الحافظ فى اللسان ان قتله كان سنة ٢٨ يعنى بعد المائة وذكر سببه وهو خروجه مع الحارث بن شريح على أمراء خراسان وقبض نصر بن سيار عليه وقتله على الخروج

واخذها طالوت من لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ

وكان الجعد بن درهم هذا ـ فيما قيل ـ من ارض حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ـ بقايا دين أهل نمرود والكنعانيين الذين صنف بعض[1] المتأخرين في سحرهم ـ ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانية[2] المشركين كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس ، وفرعون ملك مصر[3] ، والنجاشي ملك الحبشة للنصارى فهذا اسم جنس لا اسم علم

فكانت الصابئة ـ الا قليلا منهم ـ اذ ذاك على الشرك ، وعلماؤهم هم الفلاسفة وان كان الصابيء قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لكن كثيرا منهم أو اكثرهم كانوا كفارا اومشركين كما ان كثيراً من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارا ومشركين ، فاولئك الصابئون الذين كانوا اذ ذاك كانوا كفارا او مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل

ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب انه ليس له الا صفات سلبية او اضافية او مركبة منها وهم الذين بعث ابراهيم الخليل ﷺ اليهم فيكون الجعد قد اخذها عن الصابئة والفلاسفة ، وكذلك ابو نصر الفارابي[4] دخل حران واخذ عن فلاسفة

(١) هو الرازى وكتابه اسمه السر المكتوم (٢) ن : الكلدانيين

(٣) ن : القبط (٤) محمد بن طرخان بن أوزلغ التركى الفيلسوف المشهور صاحب التصانيف فى المنطق والموسيقى وغيرهما اكبر فلاسفة الاسلام تخرج ابن سينا بكتبه توفى بدمشق سنة ٣٣٩ اهـ ملخصا من ابن خلكان

الصابئين تمام فلسفته ، واخذها الجهم ايضا ـ فيما ذكره الامام احمد وغيره ـ لما ناظر السمنية[(١)] بعض فلاسفة الهند ـ وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات ـ فهذه اسانيد جهم ترجع الى اليهود والصابئين[(٢)] والمشركين ، والفلاسفة الضالون هم اما من الصابئين واما من المشركين

ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما القى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما القاه في قلوب أشباههم

ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وابي يوسف والشافعى واحمد واسحاق والفضيل ابن عياض و بشر الحافى وغيرهم كثير في ذمهم وتضليلهم

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بايدي الناس مثل اكثر التأويلات التى ذكرها ابو بكر[(٣)] بن فورك في كتاب التاويلات ، وذكرها ابو عبد الله محمد بن عمر الرازى[(٤)] في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس و يوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل ابي علي الجبائي[(٥)] وعبد الجبار بن احمد الهمدانى[(٦)]

---

(١) هم بدا (البوذيون) قليلهم فى الهند واكثرهم بالصين . (٢) ن : والنصارى

(٣) محمد بن الحسين بن فورك المتكلم الاصولى توفى سنة ٤٠٦ هـ

(٤) المعروف بابن الخطيب الملقب فخر الدين توفى سنة ٦٠٦ هـ

(٥) محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن حمران مولى عثمان بن عفان أحد أئمة المعتزلة شيخ أبي الحسن الاشعرى توفى سنة ٣٠٣ هـ

(٦) القاضي المتكلم : له تصانيف وكان من غلاة المعتزلة بعد الاربعمائة اهـ ميزان الذهبي ، توفى سنة ٤١٥ هـ كما فى لسان الميزان

وأبي الحسين البصري [١] وأبي الوفاء بن عقيل [٢] وأبي حامد الغزالي [٣] وغيرهم هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه وان كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وابطاله ايضا ولهم كلام حسن في اشياء

فانما بينت ان عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي ويدل على ذلك [٤] كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي احد الأئمة المشاهير في زمان [٥] البخاري صنف كتابا وسماه (نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله من [٦] التوحيد) حكى فيه هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي [٧] بكلام يقتضي ان المريسي اقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته وجهة غيره ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام اذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم

ثم اذا رأى الائمة — أئمة الهدى — قد اجمعوا على ذم المريسية [٨] واكثرهم

---

(١) محمد بن على الطيب البصرى المتكلم على مذهب المعتزلة توفى ٤٣٦ ﻫ

(٢) قال الذهبي فى الميزان : ابو محمد وابو الوفاء على بن عقيل الظفرى الحنبلى أحد الاعلام وفرد زمانه علما ونقلا وذكاء وتفننا له كتاب الفنون فى أزيد من ٤٠٠ مجلد إلا أنه خالف السلف ووافق المعتزلة فى عدة بدع — نسأل الله العفو والسلامة فان كثرة التبحر فى الكلام ربما أضر بصاحبه ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه توفى سنة ٥١٣ ﻫ

(٣) محمد بن محمد بن محمد ابن احمد الغزالى الطوسى الفقيه الشافعى . توفى سنة ٥٠٥ ﻫ بالطابران (٤) فى المصرية . وعلمنا ذلك بكتاب (٥) ن : زمن

(٦) ن . فى (٧) الفقيه الحنفى المتكلم اخذ الفقه عن ابى يوسف وكان مرجئا واليه تنسب الطائفة المريسية توفى سنة ٢١٨ﻫ اﻫ ابن خلكان

(٨) اتباع بشر المريسى المتقدم آنفا

كفروهم اوضلاوهم ، وعلم ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هومذهب المريسى تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولاقوة الابالله

والفتوى لاتحتمل البسط في هذا الباب وانما اشير اشارة الى مبادىء الامور والعاقل يسير[1] وينظر

وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن ان نذكر ههنا الا قايلا منه مثل كتاب السنن للالكائى[2] والابانة[3] لابن بطة والسنة لابي ذرالهروى[4] والاصول لابي عمرو الطلمنكى[5] وكلام ابى عمر بن عبد البر[6] والاسماء والصفات للبيهقى[7] وقبل ذلك السنة للطبرانى[8] ولابى الشيخ[9] الاصبهانى ولابى عبد الله بن منده[10] ولابى احمد العسال[11] الاصبهانيين وقبل ذلك السنة

(١) ن. يسبر (٢) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازى الالكائى الشافعى المتوفى سنة ٤١٨ ﻫ (٣) عبيدالله بن محمد بن بطة العكبرى شيخ الحنابلة فى وقته توفى سنة ٣٨٧ ﻫ (٤) أبو ذر عبد بن احمد بن محمد بن عبدالله بن عفير الانصارى الهروى الحافظ الزاهد العابد المالكى شيخ الحرم توفى سنة ٤٣٤ ﻫ

(٥) أبو عمرو احمد بن محمد بن عبدالله الاندلسى الطلمنكى المالكى المتوفى سنة ٤٢٩ ﻫ

(٦) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (بن عبد البر) النمرى القرطبى المالكى الحافظ صاحب كتاب التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها من المصنفات الممتعة المباركة النافعة المتوفى سنة ٤٦٣ ﻫ بشاطبة (٧) احمد ابن الحسين ابوبكر البيهقى الشافعى الحافظ صاحب السنن وغيرها المتوفى سنة ٤٥٨ ﻫ

(٨) أبوالقاسم سليمان بن احمد بن أيوب اللخمى الطبرانى الحافظ صاحب المعاجم الثلاثة توفى سنة ٣٦٠ ﻫ (٩) عبدالله بن محمدبن جعفر بن حيان أبو محمد وابوالشيخ بن حيان المتوفى سنة ٣٦٩ ﻫ (١٠) أبو عبدالله محمد بن يحيى بن منده العبدى الحافظ صاحب تاريخ إصبهان توفى سنة ٣٠١ ﻫ (١١) القاضى أبو احمد محمد بن احمد بن ابراهيم الاصبهانى العسال صاحب التصانيف توفى سنة ٣٤٩ ﻫ

للخلال [١] والتوحيد لابن خزيمة [٢] وكلام ابى العباس بن سريج [٣] والرد على الجهمية لجماعة مثل البخارى [٤] وشيخه عبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفى [٥] وقبل ذلك السنة لعبد الله بن احمد [٦] والسنة لابى بكر بن الاثرم [٧] والسنة لحنبل [٨] والمروزى [٩] ولابي داود [١٠] السجستانى ولابن أبي شيبة [١١] والسنة لابي بكر بن ابي عاصم [١٢] و كتاب خلق افعال العباد للبخاري وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادى الخلال مؤلف علم أحمد ابن حنبل ومرتبه المتوفى سنة ٣١١ هـ (٢) أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة الشافعى امام الائمة صاحب الصحيح أخذ الفقه عن المزنى توفى سنة ٣١١ هـ

(٣) القاضى أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادى قدوة الشافعية مات سنة ٣٠٦ هـ (٤) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى امام الدنيا فى الحديث وحفظه وعلله صاحب الجامع الصحيح وغيره توفى سنة ٢٥٦ هـ (٥) أبو جعفر عبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفى البخارى الحافظ المسندى المتوفى سنة ٢٢٩ هـ كان فى الاصل : محمد بن عبدالله ، فصححناه كما فى كتب الرجال

(٦) ابو عبدالرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل الحافظ الثقة البغدادى توفى سنة ٢٩٠ هـ (٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الاثرم البغدادى صاحب الامام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ

(٨) أبو على حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال بن أسد الحافظ الثقة ابن عم الامام أحمد وتلميذه مات سنة ٢٧٣ هـ (٩) أبو بكر أحمد بن على بن سعيد المرزوى القاضى أحد اوعية العلم وثقات المحدثين مات فى القضاء بدمشق سنة ٢٩٢ هـ

(١٠) ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحق السجستانى صاحب السنن امام جليل مات سنة ٢٧٥ هـ (١١) أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن عثمان (بن ابى شيبة) العبسى الكوفى الحافظ احد الاعلام توفى سنة ٢٢٥ هـ

(١٢) أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل (ابى عاصم) الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى قاضى اصبهان توفى سنة ٢٧٧ هـ

الدارمي [١] وغيرهم وكلام ابي العباس عبد العزيز المكي [٢] صاحب الحيدة في الرد على الجهمية وكلام نعيم بن حماد الخزاعي [٣] وكلام غيرهم وكلام الامام احمد بن حنبل [٤] واسحاق بن راهويه [٥] ويحي ابن سعيد [٦] ويحي ابن

(١) عثمان بن سعيد الدارمى صاحب كتاب النقض على بشر المريسى وغيره قال الفضل الفرات ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ولا رأى هو مثل نفسه أخذ الحديث عن يحيى بن معين وابن المدينى والفقه عن البويطى والادب عن ابن الاعرابى فتقدم فى هذه العلوم . مات بعد سنة ٢٨٠ ﻫ بسجستان اﻫ من العلو الذهبى ص ٢٤٧ طبع المنار

(٢) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكنانى المكى الذى ينسب اليه الحيدة فى مناظرته لبشر المريسى وكان يلقب بالفيل لدمامته له تصانيف. لم يصح اسناد كتاب الحيدة اليه فكأنه وضع عليه ـ فالله أعلم اﻫ من ميزان الذهبى وقال فى تهذيب التهذيب : قال الخطيب : قدم بغداد فى أيام المأمون وجرت بينه وبين بشر المريسى مناظرة فى القرآن وهو صاحب كتاب الحيدة وكان من اهل العلم والفضل وله مصنفات عديدة وكان ممن تفقه للشافعى واشتهر بصحبته اﻫ

(٣) ابو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعى المروزى الحافظ صاحب التصانيف مات بالسجن بسر من رأى لانه لم يجب الى القول بخلق القرآن سنة ٢٢٨ ﻫ اﻫ ميزان وخلاصة

(٤) الامام الفقيه الحافظ العلم الحجة أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل قال الشافعى خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أورع ولا أزهد من احمد بن حنبل توفى سنة ٢٤١ ﻫ عن ٧٧ سنة اﻫ خلاصة وحواشيها

(٥) الامام الفقيه الحافظ العلم أبو محمد اسحق بن ابراهيم بن مخلد بن ابن ابراهيم المشهور بابن راهويه شيخ البخارى قال أحمد (بن حنبل) لا أعلم لاسحق نظيرا ، اسحق عندنا من أئمة المسلمين واذا حدثك أبو يعقوب امير المؤمنين فتمسك به ـ توفى سنة ٢٣٨ ﻫ عن ٦٧ سنة اﻫ خلاصة

(٦) أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمى القطان البصرى الحافظ الحجة أحد أئمة الجرح والتعديل قال أحمد ما رأت عيناى مثله مات سنة ١٩٨ اﻫ خلاصة

يحيي النيسابوري[١] وامثالهم. وقبل. لعبدالله بن المبارك[٢] وامثاله واشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره

وأنا اعلم ان المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها واراد ابانة ما ذكره من الشبه فانه يسير[٣]

فاذا كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن - بل نفس عاقل — ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ويدع سبيل الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٤]

---

(١) يحيي بن يحيي بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيي الحنظلى التميمى ولاء أو نسبا الحافظ أحد الائمة قال اسحق ما رأيت مثله ولا رأى مثل نفسه وهو اثبت من ابن مهدى مات يوم مات وهو امام الدنيا وقال النسائى مات الثقة المأمون سنة ٢٢٦ هـ اهـ خلاصة (٢) ابو عبد الرحمن عبدالله بن المبارك ابن واضح الحنظلى ولاء المروزى أحد الأئمه الأعلام وشيوخ الاسلام قال ابن عيينة: ابن المبارك عالم المشرق والمغرب وما بينهما وقال شعبة: ما قدم علينا مثله ولد سنة ١١٨ هـ ومات سنة ١٨١ هـ اهـ خلاصة (٣) ن: يسير

(٤) قال الذهبي فى ترجمة (على بن عبيد الله) أبى الحسن الزعفرانى الفقيه الحنبلى: له تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة بدّعوه بها لكونه نصرها وما هذا من خصائصه بل قل من امعن النظر فى الكلام الا واداه (الى ذلك) فان علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية فمن رام الجمع بين علم الانبياء عليهم السلام وبين علم الفلاسفة بذكائه فلا بد وان يخالف هؤلاء وهؤلاء ومن كف ومشى خلف ما جاءت به الرسل من اطلاق ما أطلقوا ولم يتحذلق ولا عمق ـ فانهم صلوات الله عليهم أطلقوا وما عمقوا ـ فقد سلك طريق السلف الصالح وسلم له دينه ويقينه نسأل الله السلامة فى الدين اهـ

فصل

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث

قال الامام احمد رضي الله عنه : لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث

ومذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم ان ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا احاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه — لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وافصح الخلق في بيان العلم وافصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والارشاد . وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ، ولا في افعاله ، فكما نتيقن ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله افعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في افعاله ، وكل ما اوجب نقصاً أو حدوثاً فان الله منزه عنه حقيقة ، فانه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدَث الى محدِث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله فيعطلوا [1] اسماءه الحسنى وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ، ويلحدوا في اسماء الله وآياته

(١) بحذف النون فيه وفى الفعلين بعده لانه جواب النفى مقرونا بالفاء وكان فى الاصل باثبات النون خطأ من النساخ فحذفناها تصحيحاً

وكل واحد من فريقي [1] التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل — أما المعطلون فانهم لم يفهموا من اسماء الله وصفاته الا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل — مثلوا أولا وعطلوا آخرا ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من اسمائه وصفاته بالمفهوم من اسماء خلقه وصفاتهم ، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الاسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى ، فانه اذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم اما ان يكون اكبر من العرش أو أصغر أو مساويا ، وكل ذلك من المحال ، ونحو ذلك من الكلام فانه لم يفهم من كون الله على العرش الا ما يثبت لاي جسم كان على أي جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم . أما استواء يليق بجلال الله و يختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة [2] التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما ان يكون جوهراً أو عرضا [3] اذ لا يعقل موجود إلا هذان ، وقوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير والفلك اذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا فان كليهما مثّل وكليهما عطّل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الاول بتعطيل كل اسم [4] للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله و يختص به فكما أنه موصوف بانه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء ، قدير وانه سميع بصير ، ونحو ذلك ولا يجوز ان يثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم ، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها

---

(١) فى الهندية : ممن نفى وهى خطأ (٢) فى المصرية الثلاثة (٣) زاد فى الهندية : وكلاهما محال . ولا محل لها هنا (٤) ن : مسمى الاستواء

واعلم انه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريق السلفية اصلا ، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق فمن كان في قلبه شبهة واحب حلها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الامة من المتأولين لهذا الباب في امر مريج [١] فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الى التأويل ، ومن يحيل ان لله علما وقدرة وان يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول : ان العقل احال ذلك فاضطر الى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل احال ذلك وانه مضطر الى التأويل ، ومن يزعم [٢] ان الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل احال ذلك وانه مضطر الى التأويل

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء انه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم ان العقل جوز واوجب ما يدعي الآخر أن العقل احاله

ياليت شعري باي عقل يوزن الكتاب والسنة !؟ فرضي الله عن الامام مالك ابن انس حيث قال : « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد ﷺ لجدل هؤلاء [٣] »

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر وهو من وجوه (أحدها) بيان ان العقل لا يحيل ذلك و (الثانى) ان النصوص الواردة لا تحتمل التأويل (والثالث) ان عامة هذه الامور [٤] قد علم ان الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار كما انه جاء بصلاة [٥] الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها عن

---

(١) ملتبس مختلط (٢) ن : زعم (٣) ن : هذا (٤) ن : هذا الأمر
(٥) ن : بالصلوات

هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوات (الرابع) ان يبين ان العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص وان كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل وانما يعلمه [1] مجملا الى غير ذلك من الوجوه على ان الوجوه [2] الأساطين من هؤلاء الفحول معترفون بان العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهية

فاذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه ومن المعلوم للمؤمنين ان الله تعالى بعث محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وانه بين للناس ما اخبرهم به من أمور الايمان بالله واليوم الآخر . والايمان بالله واليوم الآخر يتضمن الايمان بالمبدأ والمعاد وهو الايمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ وقد بين الله على لسان رسوله ﷺ من الايمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مراده

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله ﷺ اعلم من غيره بذلك وانصح من غيره للامة وافصح من غيره عبارة وبيانا بل هو اعلم الخلق بذلك وانصح الخلق للامة وافصحهم فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والارادة ومعلوم ان المتكلم او الفاعل اذا كمل علمه وقدرته وارادته كمل كلامه وفعله ، وانما يدخل النقص اما من نقص علمه واما من عجزه عن بيان علمه واما لعدم ارادته البيان

والرسول هو الغاية في كمال العلم ، والغاية في كمال ارادة البلاغ المبين ، والغاية في قدرته على البلاغ المبين – ومع وجود القدرة التامة والارادة الجازمة يجب وجود

(١) ن : عقله (٢) ن : بحذفها

المراد ـ فعلم قطعا ان ما بينه من امر الايمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان ، وما اراده من البيان فهو مطابق لعلمه وعلمه بذلك اكمل العلوم . فكل من ظن ان غير الرسول أعلم بهذا منه واكمل بيانا منه أو أحرص على هدى الخلق منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين

والصحابة والتابعون لهم باحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة

وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف اهل التخييل وأهل التأويل واهل التجهيل

﴿ فأهل التخييل ﴾ هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه فانهم يقولون : ان ما ذكر الرسول من امر الايمان بالله واليوم الآخر انما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا انه بين به الحق ، ولا هدى به الخلق ، ولا اوضح به الحقائق . ثم هم على قسمين (منهم) من يقول : ان الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ويقولون : ان من المتفلسفة الآلهية[1] من علمها وكذلك من الاشخاص الذين يسمونهم الاولياء من علمها ويزعمون ان من الفلاسفة والاولياء من هو اعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين

وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية (ومنهم)[2] من يقول بل الرسول علمها لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق ، ويقول هؤلاء : يجب على الرسول ان يدعو الناس الى اعتقاد التجسيم مع انه باطل ، والى اعتقاد معاد الابدان مع

---

(١) يعنى الفلاسفة المعترفين بوجود الله كافلاطون وارسطو والفارابى وابن سينا . (٢) أى أهل التخييل

انه باطل ، ويخبرهم بان أهل الجنة يأكلون ويشربون مع ان ذلك باطل ، قالوا : لانه لا يمكن دعوة الخلق الا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد فهذا قول هؤلاء في نصوص الايمان بالله واليوم الآخر (وأما الاعمال) فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هذا المجرى . ويقول : انما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ويؤمر بها العامة دون الخاصة فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الاسماعيلية [1] ونحوهم

﴿ وأما اهل التأويل ﴾ فيقولون ان النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ان يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني ، ولا دلهم عليها ولكن أراد ان ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها ، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم واتعاب اذهانهم وعقولهم في ان يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرف الحق من غير جهته وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك [2]

والذين قصدنا الرد في هذه الفتيا عليهم هم هؤلاء ، اذ كان نفور الناس عن الاولين مشهوراً بخلاف هؤلاء فانهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم في الحقيقة لا للاسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا لكن اولئك الملاحدة الزموهم في النصوص — نصوص المعاد — نظير ما ادعوه في نصوص الصفات فقالوا لهم : نحن نعلم بالاضطرار ان [3] الرسول جاء بمعاد الابدان وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه . واهل السنة يقولون لهؤلاء [4] : ونحن نعلم بالاضطرار ان الرسل جاءت باثبات الصفات . ونصوص [5] الصفات في الكتب الالهية اكثر واعظم من نصوص المعاد ويقولون لهم : معلوم ان مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد وقد انكروه على الرسول وناظروه عليه بخلاف الصفات فانه لم يكن العرب تنكرها فعلم ان اقرار العقول بالصفات اعظم من اقرارها بالمعاد ، وان انكار المعاد اعظم

(١) فرقة من غلاة الشيعة اكثرهم بالهند ومنهم بالشام (٢) اى كالاشعرية وبعض الحنابلة (٣) ن : الرسل جاءت (٤) اى المتكلمين (٥) من الصفات

من انكار الصفات ، فكيف يجوز مع هذا ان يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما اخبر به وما اخبر به من المعاد هو على ما اخبر به ؟ (وايضاً) فقد علم انه ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه و بدلوه ، ومعلوم ان التوراة مملوءة من ذكر الصفات فلو كان هذا مما بُدل وحُرف لكان انكار ذلك عليهم أولى[1] فكيف وكانوا اذا ذكروا بين يديه الصفات ضحك تعجبا و تصديقا لها[2] ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة لاهل الاثبات[3] على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك بل عابهم بقولهم ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ وقولهم ﴿ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ وقولهم : انه استراح لما خلق السموات والارض فقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ والتوراه مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث ، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن فاذا جاز ان تُتأول الصفات التى اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما اولى ، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول انه باطل فالاول اولى بالبطلان

﴿ وأما الصنف الثالث ﴾ وهم اهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين الى السنة واتباع السلف يقولون : ان الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما انزل الله اليه من آيات الصفات ، ولا جبريل يعرف معاني الآيات ، ولا السابقون الاولون عرفوا ذلك . وكذلك قولهم في أحاديث الصفات : ان معناها لا يعلمه الا الله مع ان الرسول تكلم بها ابتداء فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه

---

(١) ن: اولا (٢) يشير الى حديث ابن مسعود : جاء حبر الى رسول الله فقال يا محمد « ان الله يضع السماء على أصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول بيده أنا الملك فضحك رسول الله وقال : وماقدروا الله حق قدره اه وهو فى صحيح البخارى فى كتاب التوحيد فى باب قول الله (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) (٣) ن : مثل

وهؤلاء يظنون انهم اتبعوا قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فانه وقف اكثر السلف على قوله (وما يعلم تأويله الا الله) وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره ، و بين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه وظنوا ان التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين وغلطوا في ذلك

فان لفظ التأويل يراد به ثلاث معان [1] فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا على اصطلاح هؤلاء وظنوا ان مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك ، وان للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه الا الله ولا يعلمه المتأولون . ثم كثير من هؤلاء يقولون : تجري على ظاهرها فظاهرها مراد مع قولهم : انلها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه الا الله وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين الى السنة من اصحاب الائمة الأربعة وغيرهم

(والمعنى الثاني) ان التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه وهذا هو معنى التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن اسحاق وابن قتيبة وغيرهم ، وكلا القولين حق باعتبار كما [2] بسطناه في موضع آخر ، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا ، وكلاهما حق

(والمعني الثالث) ان التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام اليها وان وافقت ظاهره ، فتأويل ما اخبر الله به فى الجنة – من الاكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك – هو الحقائق الموجودة انفسها لا ما يتصور من معانيها في

(١) ن : قد

الاذهان و يعبرعنه باللسان ،وهذا هوالتأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف انه قال ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ وقال تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ وقال تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

وهذا لتأويل هو الذي لا يعلمه الا الله ، وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، فالاستواء معلوم يعلم معناه و يفسر و يترجم بلغة اخرى ، وهو من التأويل الذي يعلمه لراسخون في العلم واما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه الا الله تعالى

وقد رُوي عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه انه قال : تفسير القرآن على اربعة اوجه ، تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل ، فمن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا كما قال تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال النبي ﷺ يقول الله تعالى « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر [1] » وكذلك علم وقت الساعة ونحوذلك ، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه الا الله تعالى وان كنا نفهم معاني ماخوطبنابه ونفهم من الكلام ماقصد إفهامنا اياه كما قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وقال ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾

---

(١) عزاه الشيخ ابن كثير فى تفسير سورة السجدة الى رواية البخارى فى تفسير قول الله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم﴾ والى مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه — مرفوعا

فامر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه، وقال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان ، وعبد الله ابن مسعود ، وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لايتجاوزونها حتي يتعلموها ومافيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . وقال مجاهد . عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته الى خاتمته اقف عند كل آية واسأله عنها . وقال الشعبي ما ابتدع احد بدعة الا وفي كتاب الله بيانها وقال مسروق ماسئل [1] اصحاب محمد عن شيء الا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه .

وهذا باب واسع قد بسط في موضعه

والمقصود هنا التنبيه على اصول المقالات الفاسدة التي اوجبت الضلالة في باب العلم والايمان بما جاء به الرسول ﷺ ، وان من جعل الرسول غير عالم بمعنى القرآن الذي نزل اليه ولا جبريل جعله [2] غير عالم بالسمعيات ولم يجعل القرآن هدى ولا بيانا للناس . ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية فلا يجعلون عند الرسول وامته في باب معرفة الله عز وجل لا علوما عقلية ولا سمعية وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة وهم مخطئون فيما نسبوا الى الرسول ﷺ والى السلف من الجهل كما اخطأ في ذلك اهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر اصناف الملاحدة

ونحن نذكر من الفاظ السلف باعيانها والفاظ من نقل مذهبهم الى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ، ما يعلم به مذهبهم

روى ابو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي قال كنا ـ والتابعون متوافرون [3] ـ: نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من الصفات .

---

(١) ن : قال (٢) قوله : جعله هو خبر ان وضميره البارز راجع الى الرسول لا الى جبريل (٣) ن : متوافقون

وقد حكى الاوزاعي - وهو احد الأئمة الاربعة في عصر تابع التابعين الذين هم مالك [1] امام اهل الحجاز والاوزاعي [2] امام اهل الشام والليث [3] امام اهل مصر والثورى [4] امام اهل العراق - حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايمان بان الله تعالى فوق العرش و بصفاته السمعية

وانما قال الاوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس ان مذهب السلف كان يخالف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير الاحاديث فقالا : - أمِرُّوها كما جاءت ، وروى ايضا عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثورى والليث بن سعد والاوزاعي عن الاخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : امروها كما جاءت - وفي رواية - قالوا امروها كما جاءت بلا كيف

وقولهم رضي الله عنهم: امروها كما جاءت رد على المعطلة ، وقولهم: بلا كيف رد على الممثلة

والزهرى (٥) ومكحول (٦) هما اعلم التابعين في زمانهم ، والاربعة الباقون ائمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقاتهم حماد بن زيد (٧) وحماد ابن سلمة (٨) وامثالهما

---

(١) الامام ابو عبد الله مالك بن أنس المتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ هـ

(٢) ابو عمرو الاوزاعى عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧ هـ

(٣) ابو الحارث الليث بن سعد المصرى المتوفى بمصر سنة ١٧٥ هـ

(٤) ابو عبدالله سفيان بن سعيد الثورى المتوفى سنة ١٦١ هـ عن ٦٤ سنة

(٥) ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٥ هـ (٦) ابو عبد الله مكحول الشامى مات وله بضع عشرة ومائة سنة

(٧) ابو اسماعيل البصرى المتوفى سنة ١٧٩ هـ عن ٨١ سنة

(٨) ابو سلمة البصرى المتوفى سنة ١٦٧ هـ

وروى ابو القاسم الازجي [1] باسناده عن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن انس اذا ذكر عنده من يدفع احاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لاحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومَنْ خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا

وروى الخلال باسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة بن ابى عبد الرحمن عن قوله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى قال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق. وهذا الكلام مروي عن مالك بن انس تلميذ ربيعة بن ابي عبد الرحمن من غير وجه (ومنها) ما رواه ابو الشيخ [2] الاصبهاني وابو بكر البيهقي [3] عن يحيي بن يحيي قال كنا عند مالك بن انس فجاء رجل فقال يا اباعبد الله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فاطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك إلا مبتدعا فامر [4] به ان يخرج

---

(١) قال السمعاني فى الانساب: الازجى بفتح الالف والزاى وفى آخرها الجيم، هذه النسبة الى باب الازج وهى محلة كبيرة ببغداد وكان منها جماعة كثيرة من العلماء والزهاد والصالحين وكلهم الا ما شاء الله على مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله والمشهور بهذه النسبة: أبو القاسم عبد العزيز ابن على بن أحمد بن الفضل بن سكر بن بكران الازجى الخياط من أهل باب الازج كان ثقة صدوقا متكثرا صاحب كتاب — ثم قال: سمع منه جماعة كثيرة منهم أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب ومات فى المحرم سنة ٤٤٤ هـ ودفن بباب حرب اهـ ملخصا (٢) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المتوفى سنة ٣٦٩ هـ (٣) هو أحمد بن الحسين البيهقى توفى سنة ٤٥٨ هـ (٤) ن: ثم أمر

فقول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب موافق لقول الباقين: امرّوها كما جاءت بلا كيف، فانما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ولما قالوا: امروها كما جاءت بلا كيف فان الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم (وايضا) فانه لا يحتاج الى نفي علم الكيفية اذا لم يفهم عن [1] اللفظ معنى وانما يحتاج الى نفي علم الكيفية اذا اثبتت الصفات (وايضا) فان من ينفي الصفات الجزئية [2] ـ او الصفات مطلقا ـ لا يحتاج الى ان يقول بلا كيف فمن قال: ان الله ليس على العرش لا يحتاج ان يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الامر لما قالوا بلا كيف (وايضا) فقولهم: امروها كما جاءت يقتضي ابقاء دلالتها على ما هي عليه فانها جاءت الفاظ دالة على معاني فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب ان يقال امروا لفظها مع اعتقاد ان المفهوم منها غير مراد، أو امروا لفظها مع اعتقاد ان الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد امرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف، اذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول

وروى الاثرم في السنة، وابو عبدالله بن بطة في الابانة، وابو عمرو الطلمنكي وغيرهم باسناد صحيح عن عبدالعزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون ـ وهو احد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن ابي ذئب ـ وقد سئل عما [3] جحدت به الجهمية —:

« اما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خلفها [4] في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر [5] وكلّت الالسن عن تفسير

---

(١) ن: من (٢) كذا ولعل صوابها الخبرية (٣) ن: فيما
(٤) ن: خالفها (٥) ن: والتقدير

صفته وانحصرت العقول دون معرفة قدرته ، وردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة . وانما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير ، وانما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان . فاما الذي لا يحول ولا يزول ، ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو الا هو . وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ، ومن لا يموت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف ؟ — على انه الحق المبين لا حق احق منه ولا شيء أبين منه — الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة اصغر خلقه[3] لا تكاد تراه صغراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر ، لما[4] يتقلب به ويحتال من عقله اعضل بك واخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

— « اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها ، اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم مالم يصف ؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تزجر به عن شيء من معصيته ؟ فاما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفا فقد ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَاطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسمى من نفسه بان قال : لابد ان كان له كذا من ان يكون له كذا فعمي عن البيِّن بالخفي ، فجحد ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقال لا يراه احد يوم القيامة فجحد والله افضل كرامة الله التي اكرم بها اولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه نضرته اياهم في مقعد صدق عنده

(٣) ن : مخلوقاته (٤) اللام للتأكيد وما اسم موصول أى للذى

مليك مقتدر قد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينضرون — الى ان قال — « وانما جحد رؤية الله يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد عرف انه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً ، وقال المسلمون يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة ؟ فقال رسول الله ﷺ « هل تضارون [1] في رؤية الشمس ليس دونها سحاب » ؟ قالوا لا قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » قالوا لا قال « فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك » وقال رسول الله ﷺ لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول قط قط [2] وينزوي بعضها الى بعض » وقال لثابت ابن قيس « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا « ان الله تعالى ليضحك من ازلكم [3] وقنوطكم وسرعة اجابتكم » فقال له رجل من العرب ان ربنا ليضحك ؟ قال « نعم » قال لا نعدم من رب يضحك خيراً في اشباه لهذا مما لا نحصيه وقال تعالى ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ـ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ وقال تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظيرها منهم عندهم ان ذلك الذي القى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم ، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يوصف

---

(١) تضارون بتخفيف الراء وتشديدها من الضير أو الضر بمعنى واحد
(٢) قط اسم فعل بمعنى يكفي (٣) الازل الضيق و الشدة

(اعلم) رحمك الله ان العصمة في الدين ان تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد حد لك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الافئدة وذكر اصله في الكتاب والسنة وتوارثت علماء الامة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً [1] ولا تكلفن بما وصف لك من ذلك قدرا ، وما انكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فان تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كانكارك ما وصف منها فكما اعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك اعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد ـ والله ـ عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر ، يسمعون ماوصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم [2] ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي ﷺ انه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى ووصف الرب تعالى من نفسه ، والراسخون في العلم ، الواقفون حيث انتهى علمهم ، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ماسمى منها جحدا ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا لان الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ وهب الله لنا ولكم حكما والحقنا بالصالحين »

وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام فتدبره وانظر كيف اثبت الصفات ونفى

---

(١) عيناً (٢) ن : سليم

علم الكيفية موافقا لغيره من الأئمة وكيف انكر على نفي الصفات بانه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما او عرضا فيكون محدثا

وفي كتاب الفقه الاكبر المشهور عند اصحاب ابي حنيفة الذي رووه باسناد عن ابي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال سألت ابا حنيفة عن الفقه الاكبر فقال: لاتكفرن احدا بذنب ولا تنفي احدا به من الايمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ولا تتبرأ من احد من اصحاب رسول الله ﷺ ولا توالي احدا دون احد وان ترد امر عثمان وعلي الى الله عز وجل

قال ابو حنيفة: الفقه الاكبر في الدين خير من الفقه في العلم ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من ان يجمع العلم الكثير قال ابو مطيع قلت اخبرني عن افضل الفقه قال تعلم الرجل الايمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة — وذكر مسائل الايمان ثم ذكر مسائل القدر والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه — ثم قال قلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك اناس فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك؟ قال لا قلت ولمَ وقد امر الله ورسوله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة قال كذلك لكن ما يفسدون اكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام قال — وذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة الى ان قال — قال ابو حنيفة عمن قال لا اعرف ربي في السماء ام في الارض: فقد كفر لان الله يقول ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سموات قلت فان قال انه على العرش استوى ولكنه يقول لا ادري العرش في السماء ام في الارض؟ قال هو كافر لانه انكر ان يكون في السماء لانه تعالى في اعلى عليين وانه يدعى من اعلى لا من اسفل — في لفظ — سألت ابا حنيفة عمن يقول لا اعرف ربي في السماء ام في الارض

قال قد كفر قال لان الله يقول ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ وعرشه فوق سبع سموات قال فانه يقول على العرش استوى ولكن لا يدرى العرش في الارض ام في السماء قال اذا انكر انه في السماء فقد كفر

ففي هذا الكلام المشهور عن ابي حنيفة عند اصحابه انه كفر الواقف الذي يقول لا اعرف ربي في السماء ام في الارض فكيف يكون النافى الجاحد الذي يقول ليس في السماء ولا في الارض ؟ واحتج على كفره بقوله ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ قال وعرشه فوق سبع سموات و بين بهذا ان قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ بين ان الله فوق السماوات فوق العرش وان الاستواء على العرش دل على ان الله نفسه [1] فوق العرش ثم انه اردف ذلك بتكفير من قال انه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء ام في الارض قال لانه انكر انه في السماء لان الله في اعلى عليين وانه يدعى من اعلى لا من اسفل وهذا تصريح من ابي حنيفة بتكفير من انكر ان يكون الله في السماء واحتج على ذلك بان الله في اعلى عليين وانه يدعى من اعلى لا من اسفل وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فان القلوب مفطورة على الاقرار بان الله في العلو وعلى انه يدعى من اعلى لا من اسفل وقد جاء [2] اللفظ الآخر صريحا عنه بذلك فقال اذا انكر انه في السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ باسناد عنه شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصارى الهروى [3] في كتاب الفاروق وروى ايضا ابن [4] ابي حاتم ان هشام بن عبيدالله الرازى [5] صاحب محمد ابن الحسن القاضى الذى [6] حبس رجلا في التجهم فتاب فجيء به الى هشام ليطلقه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام

---

(١) ن : بنفسه (٢) ن : فى (٣) عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٤٨١ هـ
(٤) عبد الرحمن بن ابى حاتم محمد بن ادريس الرازى الامام بن الامام المتوفى سنة ٢٩١ هـ (٥) توفى سنة ٢٢١ هـ او القاضي صفة له لا لمحمد بن الحسن .

فقال اتشهد ان الله على عرشه بائن من خلقه فقال اشهدان الله على عرشه ولا ادرى ما بائن من خلقه فقال ردوه الى الحبس فانه لم يتب . وروى ايضا عن يحيى بن معاذ الرازى انه قال ان الله على العرش بائن من الخلق [1] وقد احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا . لايشك في هذه المقالة الا جهمى ردي ضلّيل وهالك مرتاب يمزج الله بخلقه و يخلط منه الذات بالاقذار والانتان وروى ايضا عن ابن المدينى [2] لما سئل ما قول اهل الجماعة قال يؤمنون بالرؤية والكلام وان الله فوق السماوات على العرش استوى فسئل عن قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فقال اقرأ ما قبلها ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وروى ايضا عن ابي عيسى الترمذي [3] قال هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان . وروى عن ابي زرعة الرازى [4] انه لما سئل عن تفسير قوله ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ فقال تفسيره كما تقرأ هو على العرش وعلمه في كل مكان ومن قال غيره هذا فعليه لعنة الله . وروى ابو القاسم الالكائي الحافظ الطبري صاحب ابي حامد الاسفرائني في كتابه المشهور في اصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة قال

---

(١) ن : خلقه (٢) هو على بن عبد الله بن جعفر المدينى شيخ البخارى الذى قال فيه : ما استصغرت نفسى أمام أحد غير ابن المدينى مات سنة ٢٣٤ هـ

(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى الحافظ صاحب الجامع المشهور أحد دواوين السنة الستة توفى سنة ٢٧٩ هـ

(٤) الامام حافظ العصر عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشى ولاء ابو زرعة الرازى قال البخارى سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال نزل أبو زرعة عندنا فقال لى ابى : يا بنى قد اعتضت عن نوافلى بمذاكرة هذا الشيخ ـ مات أبو زرعة فى آخر يوم من سنة ٢٦٤ هـ ان من تذكرة الحفاظ للذهبى

اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن و لاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن افتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لانه [١] قد وصفه بصفة لاشيء

محمد بن الحسن اخذ عن ابي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء . وقد حكى هذا الاجماع واخبر ان الجهمية تصفه بالامور السلبية غالبا او دائما وقوله من غير تفسير اراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الاثبات

وروي البيهقي وغيره باسناد [٢] صحيح عن ابي عبيد القاسم بن سلام . قال هذه الاحاديث التي نقول فيها ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وان جهنم لا تمتلىء حتي يضع ربك فيها قدمه والكرسي موضع القدمين وهذه الاحاديث في الرؤية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير انا اذا سئلنا عن تفسيرها لانفسرها وما ادركنا احدا يفسرها

ابو عبيد [٣] احد الائمة الاربعة الذين هم الشافعي واحمد واسحق وابو عبيد وله

(١) ن : فانه (٢) ن: باسانيد صحيحة (٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الامام العلم قال القاضى أحمد بن كامل كان أبو عبيد فاضلا فى دينه وعلمه ربانيا متفننا فى أصناف علوم الاسلام من القراءات والفقه والعربية والاخبار حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم احدا من الناس طعن عليه فى شيء من أمر دينه وقال ابراهيم الحربى كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يحسن كل شيء الخ ما أطال ابن خلكان فى ترجمته وقال روى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتابا فى القرآن الكريم والحديث وغريبه والفقه وله الغريب المصنف والامثال ومعانى الشعر ثم قال ومن تصانيفه أيضا المقصور والممدود فى القراءات والمذكر والمؤنث وكتاب النسب والاحداث وأدب القاضى وعدد أى القرآن والايمان والنذور والحيض وكتاب الاموال وغير ذلك رحمه الله اه

من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ماهو اشهر من ان يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والاهواء فقد اخبر انه ما ادرك احداً من العلماء يفسرها اي تفسير الجهمية

و روى الالكائي والبيهقي عن عبدالله بن المبارك ان رجلا قال له يا ابا عبد الرحمن اني اكره الصفة عن[1] صفة الرب فقال له عبدالله بن المبارك : انا اشد الناس كراهية لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشيء قلنا به واذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه — ونحو هذا

اراد ابن المبارك انا نكره ان نبتديء بوصف الله من ذات انفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار

و روى عبد الله بن احمد وغيره باسناد[2] صحيح عن ابن المبارك انه قيل له بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بانه فوق السموات[3] على عرشه بائن من خلقه ، ولا نقول كما تقول الجهمية : انه ههنا في الأرض – وهكذا قال الامام احمد وغيره

و روى باسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال : انما يحاولون[4] ان يقولوا ليس في السماء شيء .

و روى ابن ابي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبعي[5] امام اهل البصرة علما ودينا من شيوخ الامام أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال : أشر قولا من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى ، واهل الاديان مع المسلمين على ان الله على العرش ، وقالوا هم : ليس على شيء

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأئمة[6] من لم يقل : ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب ان يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه[7] أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم باسناد صحيح

---

(١) كذا وفى العلو للذهبي عنى (٢) باسانيد صحيحة (٣) ن : سمواته
(٤) ن : يجادلون (٥) توفى سنة ٢٠٨ هـ (٦) المتوفى سنة ٢١١ هـ (٧) بنتن ريحه

وروى عبد الله بن الامام احمد باسناده عن عباد بن العوّام الواسطي امام أهل واسط [١] من طبقة شيوخ الشافعي واحمد قال : كلمت بشر المريسي واصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهى ان يقولوا : ليس فى السماء شيء .

وعن عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور [٢] انه قال : ليس في أصحاب الاهواء شر من اصحاب جهم يدورون على ان يقولوا : ليس في السماء شيء ، أرى والله انلا ينا كحوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن ابي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن ابن مهدي قال : اصحاب جهم يريدون أن يقولوا إنالله لم يكلم موسى ، ويريدون ان يقولوا : ليس في السماء شيء ، وأن الله ليس على العرش . أرى ان يستتابوا فان تابوا والاقتلوا

وعن الاصمعي [٣] قال : قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين فقال رجل عندها : الله على عرشه فقالت : محدود على محدود وقال الاصمعي . كفرت بهذه المقالة ،

وعن عاصم بن علي [٤] بن عاصم شيخ احمد والبخاري وطبقتهما قال : ناظرت جهميا فتبين من كلامه أن لا يؤمن ان في السماء ربا .

وروى الامام احمد قال : أنا سريج بن نعمان قال : سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال : سمعت مالك بن أنس يقول : الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه في السماء [٥] وجمع عليه قلوب عباده

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال : كانت زينب تفتخر على ازواج [٦] النبي ﷺ تقول : زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات ـ وهذا مثل قول الشافعي

---

(١) توفى سنة ١٨٥ هـ (٢) توفى سنة ١٩٨ هـ (٣) هو عبد الملك ابن قريب بن عبد الملك بن أصمع أبو سعيد الباهلى مات سنة ٢١٦ هـ
(٤) توفى سنة ٢٢١ هـ (٥) ن : سمائه (٦) ن : نساء

وقصة ابي يوسف صاحب ابي حنيفة مشهورة في استتابة بشر المريسي حتى هرب منه لما انكر الصفات وأظهر قول جهم قد ذكرها ابن ابي حاتم وغيره

وقال ابو عبدالله محمد بن عبد الله[1] بن أبي زمنين [1] الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال فيه :

باب الايمان بالعرش

قال : « ومن قول اهل السنة ان الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما اخبر عن نفسه في قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وقوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية فسبحان من بعد وقرب بعلمه فسمع النجوى — وذكر حديث ابى رزين العقيلي قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض؟ قال « في عما[2] ماتحته هواء ومافوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء » قال محمد : العماء السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل ـ وذكر آثاراً أخر ثم قال : —

باب الايمان بالكرسي

قال محمد بن عبدالله « ومن قول اهل السنة ان الكرسي بين يدي العرش وانه موضع القدمين ـ ثم ذكر حديث انس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة وفيه فاذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه ثم يحف الكرسي على منابر من ذهب مكللة بالجواهر ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها — وذكر ماذكره يحيى بن سالم صاحب التفسير المشهور: حدثني العلاء بن هلال عن عمار الهذلي عن سعيد ابن

(١) كان في الاصل الدميني وهو تحريف عن ابن عيسى أو ابن أبي زمنين لان المذكور هو محمد بن عبدالله بن عيسى ابو عبدالله بن ابي زمنين المري البيري الغرناطي توفي سنة ٣٩٩ هـ كما في الديباج المذهب لابن فرحون وسمى جده في الجيوش اجتماع الاسلامية نعيس وهو خطأ (٢) ن : عماء

جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان الكرسي الذي وسع السموات والارض لموضع القدمين ولا يعلم قدر العرش الا الذي خلقه ـ وذكر من حديث أسيد بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن زر عن ابن مسعود قال : ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما انتم عليه .

ثم قال في باب الايمان بالحجب قال: ومن قول اهل السنة ان الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وذكر آثاراً في الحجب

ثم قال في (باب الايمان بالنزول) قال : ومن قول اهل السنة أن الله ينزل الى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير ان يحدوا فيه حداً وذكر الحديث من طريق مالك وغيره ـ الى ان قال واخبرني وهب[1] عن ابن وضاح عن الزهري[2] عن ابن عباد قال : ومن ادركت من المشائخ مالك وسفيان وفضيل ابن عياض وعيسى[3] بن المبارك ووكيع كانوا يقولون ان النزول حق قال ابن وضاح وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال نعم أومن به ولا احد فيه حدا وسألت عنه ابن معين فقال نعم [3] امر به ولا أحد فيه حداً

---

(١) هو وهب بن مسرة فانه معدود في شيوخ ابن ابي زمنين ومن تلامذة محمد بن وضاح وله كتاب في السنة

(٢) غير ابن شهاب شيخ مالك وانما هو أبو مصعب الزهري أحمد ابن ابي بكر القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عوف اخذ عن مالك وعنه ابن وضاح وغيره توفي سنة ٢٤٢ (٣) ن : أقر

(٣) كذا في الاصل ولعله تحريف عن عبد الله او عن على

قال محمد [١] وهذ الحديث يبين ان الله عزوجل على العرش في السماء دون الارض، وهو ايضاً بين في كتاب الله وفي غير [٢] حديث عن رسول الله ﷺ قال تعالى ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى أَأَمِنتُم مَن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُم مَن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ وقال تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وقال ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وقال ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾

وذكر [٣] من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية «اين الله» قالت في السماء قال «من انا» قالت انت رسول الله» قال: «فاعتقها»(قال)والاحاديث مثل هذا كثيرة جدا فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الارض لااله الاهو العلي العظيم

وقال [٣] قبل ذلك في الايمان بصفات الله تعالى واسمائه قال: واعلم بان اهل العلم بالله وبما جاءت به انبياؤه ورسله يرون الجهل بمالم يخبر به عن نفسه علما والعجز عن مايدعو [٤] عليه ايمانا وانهم انما ينتهون من وصفه بصفاته واسمائه الى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه وقد قال: وهو اصدق القائلين ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وقال ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ قال ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ وقال ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ وقال ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقال ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ وقال ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وقال ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ الاية وقال ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ وقال ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾

(١) أى ابن عبد الله (ابن ابي زمنين) صاحب كتاب أصول السنة (٢) ن: ما
(٣) اى صاحب كتاب اصول السنة (٤) ن: لم يدع وكلاهما لايخلو من تحريف

وقال تعالى ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ الآية وقال ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ الآية وقال ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ومثل هذا في القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السماوات والارض كما اخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم هو الاول لا شيء قبله والآخر الباقي الى غير نهاية ولا شيء بعده والظاهر العالي فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلقه فقال ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ قيوم حي لا تأخذه سنة ولا نوم

وذكر احاديث الصفات ، ثم قال: [1] «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لم تره العيون فتحده كيف هو؟ ولكن رأته القلوب في حقائق الايمان » اه

وكلام الائمة في هذا الباب اطول واكثر من ان تسع هذه الفتيا عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم

مثل ماذكره ابو سليمان [2] الخطابي في رسالته المشهورة في الغنية عن الكلام واهله قال « فاما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها واجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فابطلوا ما اثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الي ضرب من التشبيه والتكييف وانما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الامرين ، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه والاصل في هذا ان الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات الباري سبحانه انما هو اثبات وجود لا اثبات كيفية فكذلك اثبات صفاته انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فاذا قلنا يد وسمع وبصر وما اشبهها

---

(١) اى صاحب كتاب أصول السنة (٢) حمد بن ابراهيم بن خطاب المتوفى سنة ٣٨٨ هـ

فانما هي صفات اثبتها الله لنفسه ولسنا نقول : ان معنى اليد القوة والنعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالايدي والاسماع والابصار التي هي جوارح وادوات للفعل ونقول ان القول انما وجب باثبات الصفات لان التوقف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لان الله ليس كمثله شيء وعلى هذا جرى قول السلف في احاديث الصفات » هذا كله كلام الخطابي

وهكذا قاله ابو بكر الخطيب [1] الحافظ في رسالة له اخبر فيها ان مذهب السلف على ذلك

وهذا الكلام الذى ذكره الخطابي قد نقل نحواً منه من العلماء من لا يُحصى عددُهم مثل ابي بكر الاسماعيلي [2] والامام يحيى [3] بن عمار السجزى وشيخ الاسلام ابي اسماعيل [4] الهروى ومثل ابي عثمان [5] الصابوني شيخ الاسلام وابي عمر بن عبد البر [6] النمرى امام المغرب وغيرهم

وقال ابو نعيم [7] الاصبهانى صاحب الحلية في عقيدة له قال في اولها « طريقتنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة واجماع الامة قال فما اعتقدوه ان الاحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه فى سمائه دون ارضه وخلقه »

---

(١) احمد بن على بن ثابت ابو بكر الخطيب البغدادى الشافعى صاحب تاريخ بغداد وغيره المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (٢) احمد بن ابراهيم بن اسماعيل الاسماعيلى الجرجانى الشافعى المتوفى سنة ٣٧١ هـ (٣) توفى سنة ٤٢٢ هـ عن قريب من ٨٠ سنة (٤) تقدم ص٣٨ (٥) اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم الصابونى الشافعى المتوفى سنة ٤٤٧ هـ (٦) تقدم ص ١٧ (٧) احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق الصوفى الشافعى المتوفى سنة ٤٣٠هـ

وقال الحافظ ابو نعيم في كتابه محجة الواثقين ومدرجة الوامقين تأليفه « واجمعوا ان الله فوق سمواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية انه بكل مكان خلافا لما نزل في كتابه ﴿ أَءَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ـ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ـ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ له العرش المستوي عليه والكرسى الذي وسع السموات والارض وهو قوله ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ وكرسيه جسم والارضون السبع والسموات السبع عند الكرسى كحلقة في ارض فلاة وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كما قاله النبي ﷺ وانه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً كما قال تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ وزاد [1] النبي ﷺ وانه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين ويعذب من يشاء كما قال تعالى ﴿ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾

وقال الامام العارف معمر [2] بن احمد الاصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده قال احببت ان اوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة [3] من الحكمة واجمع ما كان عليه اهل الحديث والاثر بلا كيف واهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها « وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف فيه مجهول ـ وانه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من الخلق ، الواحد الغنى عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا

(١) ن : قال (٢) أبو منصور الزاهد شيخ الصوفية فى زمانه باصبهان روى عن الطبرانى وابى الشيخ مات فى رمضان سنة ٤١٨ هـ من العلو للذهبى (٣) ن : مواعظ

و ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فاتوب عليه حتى يطلع الفجر» ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن انكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة [1] من العارفين على هذا » اه

وقال الشيخ الامام ابو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال [2] في كتاب السنة ثنا ابو بكر الاثرم [2] ثنا ابراهيم بن الحارث يعنى العبادي حدثنا الليث ابن يحيي قال : سمعت ابراهيم بن الاشعث ـ قال ابو بكر هو صاحب الفضيل ـ قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا ان نتوهم فى الله كيف هو ؟ لان الله تعالى وصف نفسه فابلغ فقال ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فلا صفة ابلغ مما وصف به نفسه وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذه الاطلاع كما يشاء ان ينزل ، وكما يشاء ان يباهي ، وكما يشاء ان يضحك ، وكما يشاء ان يطلع فليس (لنا) ان نتوهم كيف ، وكيف فاذا قال الجهمي : انا أكفر برب يزول عن مكانه فقل : بل أومن برب يفعل ما يشاء

ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخاري فى افعال العباد

ونقل [3] شيخ الاسلام [4] باسناده في كتابه الفاروق فقال ثنا يحيي بن عمار ثنا ابي ثنا يوسف بن يعقوب ثنا حرمى بن على البخاري وهاني بن النضر عن الفضيل [5] وقال عمرو بن عثمان المكي [6] في كتابه الذي سماه التعرف باحوال العُباد والمتعبدين

---

(١) ن : الصوفية (٢ ، ٢) تقدما ص ١٨ (٣) ن : نقله (٤) هو ابو اسماعيل الهروى الحنبلى تقدم ص ٣٨ (٥) اى كره كما ذكره الخلال

(٦) ، قال الذهبي فى العلو : كان عمرو هذا من نظراء الجنيد كبير القدر مات قبل الثلثمائة اه وعده صاحب شذرات الذهب فى وفيات سنة ٢٩٧ ه وقال (هو) الزاهد شيخ الصوفية صاحب التصانيف فى الطريق : صحب أبا سعيد الخراز والجنيد اه وسماه فى اجتماع الجيوش الاسلامية محمدا وأرخ وفاته سنة ٢٩١ ه فحرره

قال : ماتحابه [1] الشيطان للتائبين وذكر أنه يوقعهم في القنوط ثم في الغرور وطول الامل ثم في التوحيد فقال «من اعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكل اوفي صفات الرب بالتمثيل والتشبيه او بالجحدلها والتعطيل فقال بعد ذكر حديث الوسوسة : —

(واعلم) رحمك الله ان كلما توهمه قلبك أو سنح في مجاري فكرك أوخطر في معارضات قلبك من حسن أوبهاء أو ضياء او اشراف [2] اوجمال اوسنح [3] مسائل اوشخص متمثل فالله تعالى بغير ذلك بل هو تعالى اعظم واجل واكبر الاتسمع لقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وقوله ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ اي لاشبيه ولانظير ولامساوي ولامثل اولم تعلم انه لما تجلى للجبل تدكدك لعظم هيبته وشامخ سلطانه فكمالا يتجلى لشيء الااندك كذلك لا يتوهمه احد الاهلك، فرُدَّ بما بين الله في كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفو فان اعتصمت بها وامتنعت منه اتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تعالى وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ فقال لك: اذا كان موصوفا بكذا او وصفته اوجب له التشبيه فاكذبه لانه اللعين انما يريد ان يستزلك ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى

(واعلم) ـ رحمك الله ـ تعالى ان الله تعالى واحد لا كالآحاد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » ـ الى ان قال ـ خلصت له الاسماء السنية فكانت واقعة في قديم الازل بصدق الحقائق لم يتحدث [4] تعالى صفـة كان منها خليا واسم كان منه بريا، تبارك وتعالى فكان هاديا سيهدي وخالقا سيخلق ورازقا سيرزق وغافرا سيغفر وفاعلا سيفعل ولم يحدث له الاستواء الا وقد كان في صفة انه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به في جملة فعله كذلك قال الله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ بمعنى انه سيجيء فلم يستحدث [4] الاسم بالمجيء وتخلف الفعل لوقت المجيء فهو جاء

(١) في اجتماع الجيوش الاسلامية :(في باب مايجيء) به وهي اظهر فهاهنا محرف لا يظهر معناه (٢) ن : اشراق (٣) ن : شبح (٤) ن : يستحدث

سيجيء و يكون المجيء منه موجودا بصفة لاتلحقه الكيفية و لا التشبيه لان ذلك فعل الربوبية فيستحسر العقل [1] و تنقطع النفس عند ارادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود ، فلا تذهب في احد الجانبين لامعطل ولامشبه وارض لله بما رضي به لنفسه وقف عند خبره لنفسه مسلما مستسلما مصدقا بلامباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير الى ان قال «فهو تبارك وتعالى القائل: انا الله لا الشجرة الجائي قبل ان يكون جائيالا امره ،المتجلي لاوليائه في المعاد فتبيض به وجوههم وتفلج به على الجاحدين حجتهم ،المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تبارك وتعالى الذى كلم موسى تكليما واراه من آياته فسمع موسى كلام الله لانه قربه نجيا تقدس ان يكون كلامه مخلوقا اومحدثا او مربوبا الوارث بخلقه لخلقه السميع لاصواتهم ، الناظر بعينه الى اجسامهم يداه مبسوطتان وهما غير نعمته خلق آدم ونفخ فيه من روحه ـ وهو امره ـ تعالى وتقدس ان يحل بجسم او يمازج بجسم او يلاصق به ،تعالى عن ذلك علوا كبيرا الشائي له المشيئة العالم له العلم الباسط يديه بالرحمة النازل كل ليلة الى سماء (الدنيا) ليتقرب اليه خلقه بالعبادة وليرغبوا اليه بالوسيلة القريب في قربه من حبل الوريد ، البعيد في علوه من كل مكان بعيد ولا يشبه بالناس ـ الى ان قال ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ القائل ﴿ أَءَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ تعالى و تقدس ان يكون في الأرض كما هو في السماء جل عن ذلك علوا كبيرا » اه

وقال الامام ابو عبد الله الحارث بن اسماعيل بن أسد المحاسبي [2] في كتابه المسمى فهم القرآن قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ ، وان النسخ لا يجوز في

---

(١) ن : العقول (٢) فى تهذيب التهذيب : قيل مات سنة ٢٤٣ هـ

الاخبار قال : « لا يحل لاحد ان يعتقد ان مدح الله وصفاته ولا اسماءه يجوز ان ينسخ منها شيء ـ الى ان قال : « وكذلك لا يجوز اذا اخبر ان صفاته حسنة عليا ان يخبر بذلك انها دنية سفلى فيصف نفسه بانه جاهل ببعض الغيب بعد ان أخبر أنه عالم بالغيب ، وانه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الاصوات ولا قدرة له ولا يتكلم وولا كلام [1] كان منه وانه تحت الارض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فاذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب انها ناسخة لبعض اخباره كقوله عن فرعون ﴿ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ ﴾ الآيات وقال ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّابِرِينَ ﴾ وقال : قد تأول قوم ان الله عنى ان ينجيه ببدنه من النار لانه آمن عند الغرق وقال : انما ذكر الله ان قوم فرعون يدخلون النار دونه وقال ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ وقال ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ ولم يقل بفرعون قال: وهكذا الكذب على الله لان الله تعالى يقول ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ كذلك قوله ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ فاقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علماً بشيء لانه مَن ليس له علم بما يريد ان يصنعه لم يقدر ان يصنعه نجده ضرورة قال ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ قال وانما قوله ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ ﴾ انما يريد حتى نراه فيكون معلوماً موجوداً لانه لا جائز ان يكون يعلم الشيء معدوما من قبل ان يكون و يعلمه موجوداً كان قد كان فيعلم في وقت واحد معدوما موجوداً وان لم يكن وهذا محال ـ وذكر كلاماً في هذا في الارادة ـ الى ان قال « وكذلك قوله ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ ليس معناه ان يحدث له سمعاً ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم وقد ذهب قوم من اهل السنة ان لله استماعاً في ذاته فذهبوا

(١) ن : وكالكلام

الى ان ما يعقل من انه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول لان المخلوق اذا سمع حدث له عقد فهم عما ادركته اذنه من الصوت وكذلك قوله ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ لا يتحدث بصراً محدثا في ذاته وانما يحدث الشيء فيراه مكونا كما لم يزل يعلم قبل كونه الى ان قال: «وكذلك قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ وقوله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ وقوله ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وقال ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وقال ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وقال لعيسى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية وقال ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ وذكر الآلهة ان لو كان آلهة لابتغوا الى ذي العرش سبيلا حيث هو فقال ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ أي طلبه وقال ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ قال ابو عبد الله[1] فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً كذلك قوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ وقوله ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وقوله ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ وقوله ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك

(واعلم) ان هذه الآيات ليس معناها ان الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الاشياء او ينتقل فيها لانتقالها ويتبعض فيها على اقدارها ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن ذلك وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك

(١) اى المحاسبى

ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه لان كل من يثبت شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات ان الله تعالى في كل شيء بنفسه كائناً ثم نفوا معنى ما أثبتوا فقالو : لا كالشيء في الشيء

قال «أبو عبد الله [1] لنا قوله ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ - وَسَيَرَى ٱللَّهُ - وَإِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ فانما معناه حتى يكون الموجود فيعلمه موجوداً ويسمعه مسموعا ويبصره مبصراً لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر، واما قوله ﴿إِذَآ أَرَدْنَا﴾ اذا جاء وقت كون المراد فيه وان قوله ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ الآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فهذا وغيره مثل قوله ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ هذا منقطع يوجب انه فوق العرش فوق الاشياء كلها، منزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لانه ابان في هذه الايات انه اراد انه بنفسه فوق عباده لانه قال ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني فوق العرش، والعرش على السماء لان من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء وقد قال مثل ذلك في قوله ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني على الارض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني على الارض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ يعني فوقها عليها وقال ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم فصل فقال ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ ولم يصل فلم يكن لذلك معنى اذا فصل قوله ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم استأنف التخويف بالخسف الا انه على عرشه فوق السماء وقال تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ وقال ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فبين عروج الامر وعروج الملائكة ثم وصف وقت

(١) أي المحاسبي

صعودها بالارتفاع صاعدة اليه فقال ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال صعودها اليه وفصله من قوله اليه كقول القائل اصعد الى فلان فى ليلة او يوم وذلك انه فى العلو وان صعودك اليه فى يوم فاذا صعدوا الى العرش فقد صعدوا الى الله عز وجل ، وان كانوا لم يروه ولم يساووه فى الارتفاع فى علوه فانهم صعدوا من الارض وعرجوا بالامر الى العلو قال تعالى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ولم يقل عنده وقال فرعون ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ثم استأنف الكلام فقال ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ فيما قال لى ان الهه فوق السموات فبين الله سبحانه وتعالى ان فرعون ظن بموسى انه كاذب فيما قال وعمد[1] لطلبه حيث قاله مع الظن بموسى انه كاذب ولو ان موسى قال انه فى كل مكان بذاته لطلبه فى بيته او فى بدنه اوحشه فتعالى الله عن ذلك ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح

قال أبو عبد الله[2] واما الآي التي يزعمون انها قد وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي اراد به انه على عرشه فقال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فاخبر بالعلم ثم اخبر انه مع كل مناج ثم ختم الآية بالعلم بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبدا بالعلم وختم بالعلم فبين أنه اراد ان يعلمهم حيث كانوا لايخفون عليه ولا يخفى عليه مناجاتهم ولو اجتمع القوم في اسفل ، وناظر اليهم في العلو فقال : اني لم ازل اراكم واعلم مناجاتكم لكان صادقا ولله المثل الاعلى ان يشبه الخلق ، فان ابوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا : هذا منكم دعوى خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة لأن من هو مع الاثنين فأكثر ، هو معهم لا فيهم ومن كان مع شيء خلا جسمه ، وهذا خروج من قولهم وكذلك قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ لأن ما قرب من الشيء ليس هو

(١) ن : وعد (٢) أى المحاسبى

في الشيء ففى ظاهر التلاوة على دعواهم انه ليس في حبل الوريد وكذلك قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ لم يقل في السماء ثم قطع كما قال ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ثم قطع فقال ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ فقال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾ يعنى إله أهل السماء وإله أهل الأرض وذلك موجود فى اللغة تقول : فلان أمير في خراسان ، وأمير فى بلخ ، وأمير فى سمرقند وانما هو فى موضع واحد ويخفى عليه ما وراه فكيف العالى فوق الاشياء لا يخفى عليه شيء من الاشياء يدبره فهو إله فيهما اذ كان مدبراً لهما وهو على عرشه وفي كل شيء تعالى عن الاشباه والأمثال » اه

وقال الامام [1] ابو عبد الله محمد بن خفيف [2] في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد باثبات الاسماء والصفات قال في آخر خطبته « فاتفقت اقوال المهاجرين والانصار في توحيد الله عز وجل ومعرفة اسمائه وصفاته وقضائه قولا واحدا وشرعا ظاهرا وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتى قال « عليكم بسنتى » « وذكر الحديث [3] وحديث لعن الله من احدث حدثا قال فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق

(١) الشيرازى شيخ أقليم فارس صاحب الاحوال والمقامات المتمسك بالكتاب والسنة الفقيه على مذهب الشافعى كان من اولاد الامراء فتزهد توفى فى رمضان سنة ٣٧١ هـ اه من شذرات الذهب (٢) فى الاصل حنيف وهو خطأ (٣) يعنى حديث العرباض بن سارية وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومضلات الفتن فان كل بدعة ضلالة » قال فى الترغيب والترهيب فى باب الترغيب فى اتباع الكتاب والسنة رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حسن صحيح اه

من غير اختلاف وهم الذين امرنا بالاخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في احكام التوحيد واصول الدين من الاسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع ، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل الينا كما نقل سائر الاختلاف فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتى ادوا ذلك الى التابعين لهم باحسان فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن لان الاختلاف كان عندهم في الاصل كفر ـ ولله المنة

« ثم انى قائل ـ وبالله اقول ـ انه لما اختلفوا [1] في احكام التوحيد وذكر الاسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين فخاضوا في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار ولم يعقلوا قولهم بذكر الاخبار وصار معولهم على احكام هوى حسن النفس المستخرجة من سوء الظن به على مخالفة السنة والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس [2] فتأولوا على ما وافق هواهم وصححوا بذلك مذهبهم احتجت [3] الى الكشف عن صفة المتقدمين ومأخذ المؤمنين ومنهاج الاولين خوفا من الوقوع في جملة اقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ منه [4] ومنع المستجيبين له حتى حذرهم

ثم ذكر : ابو عبدالله [5] خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه وحديث لا ألفين احدكم [6] وحديث ستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة فأن [7] الناجية ما كان عليه هو واصحابه [8] ثم قال فلزم الامة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة

---

(١) ن : أحدثوا (٢) ن : بحذف ما وافق وعلى كل فى الكلام نقص أو تحريف (٣) جواب لما اختلفوا (٤) ن : أمته (٥) يعنى ابن خفيف

(٦) يعنى حديث أبى رافع مرفوعا « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمرى ـ مما أمرت به أو نهيت عنه ـ فيقول لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » رواه احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى دلائل النبوة قاله فى المشكاة (٧) ن : وان (٨) تقدم ص ١٣

ولم يكن الوصول اليه الا من جهة التابعين لهم بأحسان ، المعروفين بنقل الاخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة ، فيتصل ذلك قرنا بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة والامانة الحافظين على الامة مالهم وما عليهم من اثبات السنة الى ان قال —

« فأول ما نبتديء به ما اوردنا هذه المسألة من اجلها ذكر اسماء الله عز وجل في كتابه وما بيّن ﷺ من صفاته في سنته وما وصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك ان نرده الى احكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ومما قد امرنا بالاستسلام له ـ الى ان قال :

« ثم ان الله تعرف إلينا بعد اثبات الوحدانية والاقرار بالألوهية ان ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق بما بدأ من أسمائه وصفاته واكد عليه السلام بقوله فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله الى ان قال باثبات نفسه بالتفصيل من المجمل فقال : لموسى عليه السلام ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ وقال ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ وقال عز وجل ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ واكد عليه السلام صحة اثبات ذلك في سنته فقال : « يقول الله عز وجل : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » وقال : « كتب كتابا بيده على نفسه « ان رحمتي غلبت غضبي » وقال سبحان الله رضى نفسه » وقال فى محاجة آدم لموسى « انت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه » فقد صح بظاهر قوله انه اثبت لنفسه نفسا واثبت له الرسول ذلك فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما اخبر به عن نفسه ويكون ذلك مبنيا على ظاهر قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

ثم قال « فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به ﷺ وإن مما قضى الله علينا فى كتابه

ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ثم قال عقيب ذلك ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ وبذلك دعاه ﷺ «انت نورالسموات والارض» ثم ذكر حديث ابي موسى «حجابه النور - او النار - لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه» وقال: سبحات وجهه جلاله ونوره، نقله عن الخليل وابي عبيد - وقال «قال عبد الله ابن مسعود: نوّر السموات نور وجهه

ثم قال:[1] «ومما ورد به النص انه حي وذكر قوله تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ والحديث «يا حي يا قيوم برحمتك استغيث» قال: ومما تعرف الله الى عباده ان يصف نفسه انله وجهاً موصوفا بالجلال والاكرام فاثبت لنفسه وجها - وذكر[1] الآيات

ثم ذكر[1] حديث ابي موسى المتقدم فقال في هذا الحديث من اوصاف الله عز وجل لا ينام موافق لظاهر الكتاب ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وان له وجها موصوفا بالانوار، وانله بصرا كما علمنا في كتابه انه سميع بصير - ثم ذكر[1] الاحاديث في اثبات الوجه وفي اثبات السمع والبصر والآيات الدالة على ذلك - ثم قال[1]: «ثم ان الله تعالى تعرف الى عباده المؤمنين ان قال له يدان قد بسطهما بالرحمة وذكر الاحاديث في ذلك ثم ذكر[1] شعر امية[2] بن ابي الصلت ثم ذكر[1] حديث «يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله» وهي رواية البخاري وفي رواية اخرى يضع عليها قدمه[3] ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: ان الكرسي موضع القدمين وان العرش لايقدر قدره الا الله، وذكر[1] قول مسلم البطين نفسه وقول السدي وقول وهب بن منبه وابى مالك وبعضهم يقول: موضع قدميه وبعضهم يقول واضع رجليه عليه

---

(١) ابن حفيف (٢) تقدم ص ٩ (٣) الروايتان فى تفسير سورة ق من صحيح البخارى

ثم قال «فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الامة موافقة لقول النبي ﷺ متداولة في الاقوال ومحفوظة في الصدر ولا ينكر خلف عن السلف ولا ينكر عليهم احد من نظرائهم، نقلها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم الى ان حدث في آخر الامة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم وامرنا ان لا نعود مرضاهم ولا نشيع جنائزهم فقصد هؤلاء الى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا الى الاخبار فعملوا في دفعها الى احكام المقاييس وكفر المتقدمين وانكروا على الصحابة والتابعين وردوا على الأئمة الراشدين فضلوا واضلوا عن سواء السبيل

ثم ذكر[1] المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحروري ثم حديث الصورة وذكر[1] انه صنف فيه كتابا مفردا واختلاف الناس في تأويله ثم قال« وسنذكر اصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ وما وافقنا فيه اصحاب الحديث من المثبتة ان شاء الله ثم ذكر[1] الخلاف في الامامة واحتج عليها وذكر اتفاق المهاجرين والانصار على تقديم الصديق وانه افضل الامة ثم قال[1]« وكان الاختلاف في خلق الافعال هل هي مقدرة ام لا ؟ قال[1] « وقولنا فيها ان افعال العباد مقدرة معلومة وذكر[1] اثبات القدر ثم ذكر[1] الخلاف في اهل الكبائر ومسألة الاسماء والاحكام وقال[1] « قولنا فيها انهم مؤمنون على الاطلاق وامرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء عفا عنهم وقال[1]« اصل الايمان موهبة يتولد منها افعال العباد فيكون اصل التصديق والاقرار والاعمال وذكر[1] الخلاف في زيادة الايمان ونقصانه وقال[1]« قولنا انه يزيد وينقص قال[1]« ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقا وغير مخلوق فقولنا وقول أئمتنا ان القرآن كلام الله غير مخلوق وانه صفة الله منه بدأ قولا واليه يعود حكما ثم ذكر[1] الخلاف في الرؤية وقال[1]« قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد ان الله يرى في القيامة وذكر[1] الحجة

---

(١) أي ابن خفيف

ثم قال [١] : اعلم رحمك الله اني ذكرت احكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدثين في كل الازمنة وقد بدأت ان اذكر احكام الجمل من العقود فنقول « ونعتقد ان الله عز وجل له عرش وهو على عرشه فوق سبع سمواته بكل اسمائه وصفاته كما قال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ـ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ ولا نقول انه في الارض كما هو في السماء على عرشه لانه عالم بما يجري على عباده ثم يعرج اليه — الى ان قال [١] « ونعتقد ان الله تعالى خلق الجنة والنار وانهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء — الى ان قال [١] « ونعتقد ان النبي ﷺ عرج بنفسه الى سدرة المنتهى ـ الى ان قال « ونعتقد ان الله قبض قبضتين فقال : « هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار » ونعتقد ان للرسول ﷺ حوضاً ونعتقد انه اول شافع واول مشفع وذكر [١] الصراط والميزان والموت ؛ وان المقتول قتل باجله واستوفى رزقه

الى ان قال : [١] « ومما نعتقد ان الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا في ثلث الليل الاخر فيبسط يده فيقول « ألا هل من سائل » الحديث [٢] وليلة النصف من شعبان وعشية عرفة وذكر الحديث [٣] في ذلك ـ قال « ونعتقد ان الله تعالى كلم موسى تكليما واتخذ ابراهيم خليلا وان الخلة غير الفقر لا كما قال اهل البدع ونعتقد ان الله تعالى خص محمدا ﷺ بالرؤية واتخذه خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها الا الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية ونعتقد المسح على الخفين ثلاثا للمسافر ، ويوماً وليلة للمقيم ونعتقد الصبر على السلطان من قريش ما كان من جور او عدل ما اقام الصلاة من الجمع والاعياد ؛ والجهاد معهم ماض الى يوم القيامة والصلاة

---

(١) أى ابن خفيف (٢) وهو فى صحيح البخارى ـ فى مواضع ـ منها فى قيام الليل والتهجد وفى الادعية وغيرها (٣) ذكر المنذرى أحاديثهما فى فضل شعبان وليلة نصفه ص ٨٠ ج ٢ وفى الترغيب فى الوقوف بعرفة ص ١٢٦ ج ٢ طبعة منير

في الجماعة حيث ينادى لها واجب اذا لم يكن عذر أو مانع والتراويح سنة ونشهد ان من ترك الصلاة عمدا فهو كافر والشهادة والبراءة بدعة والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ولا ننزل احدا جنة ولا نارا حتى يكون الله ينزلهم والمراء والجدال في الدين بدعة ونعتقد ان ما شجر بين اصحاب رسول الله ﷺ امرهم الى الله و نترحم على عائشة ونترضى عنها والقول في اللفظ والملفوظ وكذلك في الاسم والمسمى بدعة والقول في الايمان مخلوق او غير مخلوق بدعة

« واعلم اني ذكرت اعتقاد اهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملا من غير استقصاء اذ تقدم القول من مشائخنا المعروفين من اهل الابانة والديانة الا أني احببت ان اذكر عقود اصحابنا المتصوفة[1] فيما احدثته طائفة نسبوا اليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب واهله من ذلك الى ان قال[2] وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه التبصير كتب بذلك الى اهل طبرستان في اختلاف عندهم وسألوه ان يصنف لهم ما يعتقده و يذهب اليه فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى فذكر عن طائفة اثبات الرؤية في الدنيا والآخرة ونسب هذه المقالة الى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة فبين ان ذلك على جهالة منه باقوال المخلصين منهم وكان من نسب اليه ذلك القول بعد ان ادعى على الطائفة ابن اخت[3] عبدالواحد بن زيد[4] — والله اعلم محله عند المخلصين فكيف بابن اخته وليس اذا احدث الزائغ في نحلته قولا نسب الى الجملة ، كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من احدث قولا في الفقه وليس فيه حديث يناسب ذلك ، ينسب ذلك الى جملة الفقهاء والمحدثين

---

(١) ن : المتصرفة (٢) اى ابن خفيف (٣) ن : أخته وهي خطأ ، ون : ثم من كان بعد ما ادعى نسبة الى ابن أخت (٤) البصرى الزاهد شيخ الصوفية كان ممن أدرك الحسن واخذ عنه له ترجمة في الميزان ولسانه فيها جرحه وتعديله فراجعها ان شئت

« واعلم ان لفظ الصوفية وعلومهم تختلف فيطلقون الفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات واشارات تجري فيما بينهم فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسيء وحسير

ثم ذكر[1] اطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد فقال كثيرا ما يقولون رأيت الله يقول وذكر[1] عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حين عبدته قال رأيت الله ثم عبدته فقال السائل كيف رأيته فقال لم تره الابصار[2] بتحديد الاعيان ولكن رؤية القلوب بتحقيق الايقان ثم قال:[1] «وانه تعالى يُرى فى الاخرة كما اخبر فى كتابه وذكره رسوله ﷺ ، هذا قولنا وقول ائمتنا دون الجهال من اهل الغباوة فينا ، وان مما نعتقده ان الله حرم على المؤمنين دماءهم واموالهم واعراضهم وذكر ذلك في حجة الوداع فمن زعم انه يبلغ مع الله الى درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين الا المضطر على حال يلزمه احياء النفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات فذلك كفر بالله وقائل ذلك قائل بالاباحة وهم المنسلخون من الديانة وان مما نعتقده ترك اطلاق تسمية العشق على الله تعالى وبين ان ذلك لا يجوز لاشتقاقه ولعدم ورود الشرع به وقال ادنى ما فيه انه بدعة وضلالة وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية وان مما نعتقده ان الله لا يحل في المرئيات وانه المتفرد بكمال اسمائه وصفاته بائن من خلقه مستو على عرشه وان القرآن كلامه غير مخلوق حيث ما تلى ودرس وحفظ ، ونعتقد ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا واتخذ نبينا محمداً ﷺ خليلا وحبيباً والخُلة لهما منه على خلاف ماقاله المعتزلة ان الخلة الفقر والحاجة — الى ان قال :

«والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما ولا تدخل اوصافه تحت التكييف والتشبيه ، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف فاما صفاته تعالى فمعلومة

---

(١) ابن خفيف (٢) ن : العيون

في العلم وموجودة في التعريف قد انتفى عنها التشبيه فالايمان به واجب وجسم الكيفية عن ذلك ساقط

« ومما نعتقده ان الله اباح المكاسب والتجارات والصناعات وانما حرم الله الغش والظلم واما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع اذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء ، انما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارات فان ذلك على اصل الكتاب والسنة جائز الى يوم القيامة وان مما نعتقد ان الله (لا) يامر باكل الحلال ثم يعدمهم الوصول اليه من جميع الجهات ، لان ما طالبهم به موجود الى يوم القيامة ؛ والمعتقد ان الارض تخلو من الحلال والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال إلا انه يقل في موضع ويكثر في موضع لا انه مفقود من الارض ومما نعتقده انا اذا راينا من ظاهر جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه ؛ جائز أن يؤكل طعامه ، والمعاملة في تجارته فليس علينا الكشف عما قاله[1] فان سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز الا من داخل الظلمة « ومن ينزع عن الظلم واخذ الاموال بالباطل ومعه غير ذلك فالسؤال والتوقي كما سأل الصديق غلامه فان كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الاموال فاختلطا فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام الا انه مشتبه فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة ، والناس طبقات والدين الحنيفية سمحة

وان مما نعتقد ان العبد مادام احكام الدار جارية (عليه) فلا يسقط عنه الخوف والرجاء وكل من ادعى الامن فهو جاهل بالله وبما أخبر به عن نفسه ﴿ وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾ وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك ، ونعتقد ان العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ماله وما عليه

(١) : ان ماله (٢) ن : بعلائق

ءين على احكام القوة والاستطاعة اذ لم يسقط الله ذلك عن الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن زعم انه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية باسقاط العبودية والخروج الى أحكام الاحدية المسدية بعلائق الاخرية فهو كافر لا محالة إلا من اعتراه علة أو رأفة فصار معتوها اومجنونا او مبرسماً وقد اختلط عقله اولحقه غشية ارتفع عنه بها احكام العقل وذهب عنه التميز والمعرفة فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة ، ومن زعم الاشراف على الخلق يعلم مقاماتهم ومقدارهم عندالله بغير الوحي المنزل من قول رسول الله ﷺ فهو خارج عن الملة ، ومن ادعى انه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلى ما ذا يموتون عليه ويختم لهم بغير الوحي من قول الله وقول رسوله فقد باء بغضب من الله . والفراسة حق على اصول ما ذكرناه وليس ذلك مما رسمناه في شيء ، ومن زعم ان صفاته تعالى بصفاته ويشير في ذلك الى غير آية العظمة والتوفيق والهداية واشار الى صفاته [1]

(١) سقطت هذه الاسطر ما بين ص ٦٤ و ٦٥ نبهنا على سقوطها السيد محمد بن حسين نصيف) عند قراءة الكتاب اثناء طبعه ، أثبتناها (صفحة مكررة أداء للامانة . فشكراً له وجزاه الله خيراً وبارك في حياته

عز وجل القديمة فهو حلولي قائل باللاهوتية [1] والالتحام [2] وذلك كفر لا محالة ونعتقد ان الارواح كلها مخلوقة ومن قال انها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح وذلك كفر بالله العظيم ، ومن قال ان شيئا من صفات الله حال في العبد وقال [3] بالتبعيض على الله فقد كفر ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق ، وانه كيفما ما تلي وقرىء وحفظ فهو صفة الله عز وجل وليس الدرس من المدروس ولا التلاوة من المتلو لانه عز وجل بجميع صفاته واسمائه غير مخلوق ، ومن قال بغير ذلك فهو كافر ، ونعتقد ان القراءة الملحنة بدعة وضلالة ، وان القصائد بدعة . ومجراها على قسمين فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه واظهار نعت [4] الصالحين وصفة المتقين فذلك جائز وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم اولى به ، وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر واستماع الغناء والربعيات [5] على الله كفر ، والرقص بالايقاع ونعت الرقاصين (على) احكام الدين فسق ، وعلى احكام التواجد والغناء لهو ولعب ، وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات [6] الملحنة [7] الجائي بين اهل الاطباع على احكام الذكر الا لمن تقدم له العلم باحكام التوحيد ومعرفة اسمائه وصفاته وما يضاف الى الله تعالى من ذلك ما لا يليق به عز وجل مما هو منزه عنه فيكون استماعه كما قال ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ الآية وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله فهو كفر لا محالة فكل من جمع القول واصغى بالاضافة الى الله فغير جائز الا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه وما هو موصوف به عز وجل مما ليس المخلوقين فيه نعت ولا وصف بل ترك ذلك اولى واحوط والاصل في ذلك انها بدعة والفتنة فيها غير مأمونة

(١) ن: بالاهومية (٢) ن: والتحام (٣) فى التبعيض (٤) نعمة (٦٥) الربيعيات (٧) المنحة

على استماع الغنا والربعيات بدعة وذلك مما انكره المطلبى [1] ومالك والثوري ويزيد بن هارون واحمد بن حنبل واسحاق والاقتداء بهم اولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين ولا لهم قدم عند المخلصين، وبلغني انه قيل لبشر بن الحارث [2] ان اصحابك قد احدثوا شيئا يقال له القصائد قال مثل ايش؟ قال مثل قوله * اصبري [3] يا نفس حتى تسكني دار الجليل * فقال حسن وأين يكونون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال قلت ببغداد فقال: كذبوا، والله الذي لا اله غيره لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك قال [4] ابو عبد الله ومما نقول وهو قول ائمتنا ان الفقير اذا احتاج وصبر ولم يتكلف الى وقت يفتح الله له كان اعلى، فمن عجز عن الصبر كان السؤال اولى به على قوله ﷺ « لان يأخذ احدكم حبله » الحديث [5] ونقول ان ترك المكاسب غير جائز الا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء عما في ايدي الناس، ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح فهو مذموم في الحقيقة خارج [6] ونقول ان [7] المستمع الى الغناء والملاهي فان ذلك كما قال عليه السلام « الغناء ينبت النفاق في القلب » وان لم يكفر فهو فسق لا محالة والذى نختار قول ائمتنا ان ترك المراء فى الدين والكلام في الايمان مخلوق او غير مخلوق ومن زعم ان الرسول ﷺ واسط يؤدى وان المرسل اليهم افضل فهو كافر بالله ومن قال باسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر اه [8]

ومن متأخريهم الشيخ الامام ابو محمد عبد القادر بن ابي صالح الجيلاني [9] قال في كتاب الغنية: اما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار

(١) أى الشافعى (٢) المعروف بالحافى أحد رجال الطريقة المتوفى سنة ٢٢٦ هـ
(٣) ن: اخبرى (٤) أى ابن خفيف (٥) تمامه: فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» رواه البخارى فى باب كسب الرجل وعمله بيده من كتاب البيوع فى صحيحه (٦) يعنى عن طريقة الصوفية (٧) ن: اذ (٨) أى كلام ابن خفيف
(٩) قال الذهبى فى العلو: شيخ الاسلام سيد الوعاظ توفى سنة ٥٦١ هـ

فهو ان يعرف ويتيقن ان الله واحد احد - الى ان قال[1] : وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ - يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وذكر[2] آيات واحاديث الى ان قال: وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب انزله على كل نبي ارسل بلا كيف وذكر[3] كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع وذكر[4] في سائر الصفات نحو هذا

ولو ذكرت ما قاله العلماء في ذلك لطال الكتاب جداً

قال ابو عمر بن عبد البر : روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان ابن عيينة والاوزاعي ومعمر بن راشد في احاديث الصفات انهم كلهم قالوا : امروها كما جاءت ؛ قال ابو عمر :ماجاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات او جاء عن اصحابه رضي الله عنهم فهو علم يُدان به ؛ وما احدث بعدهم ولم يكن له اصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة ، وقال في شرح الموطأ لما تكلم على شرح حديث النزول قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف اهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق[5] سوى هذه من اخبار العدول عن النبي ﷺ وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش استوى من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : ان الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة قال : والدليل على صحة ما قال اهل الحق قول الله — وذكر بعض الآيات - الى ان قال :

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) أي الجيلاني (٥) طريق شواهده

وهذا اشهر واعرف عند العامة والخاصة من ان يحتاج الى اكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه احد ولا انكره عليهم مسلم

قال ابو عمر بن عبد البر ايضا: اجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال ابو عمر ايضا « اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا انهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة — واما اهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من اقر بها مشبه وهم عند من اقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم ائمة الجماعة

فهذا كلام ابن عبد البر امام اهل المغرب

وفي عصره الحافظ ابو بكر البيهقي مع توليه المتكلمين من اصحاب ابي الحسن الاشعري وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات (**باب**) ما جاء في اثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله تعالى ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وقال ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وذكر الاحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث ، في حديث الشفاعة « يا آدم انت ابو البشر خلقك الله بيده » ومثل قوله في الحديث المتفق عليه « انت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الالواح بيده » وفي لفظ « وكتب لك التوراة بيده » ومثل ما في صحيح مسلم « وغرس كرامة اوليائه في جنة عدن بيده » ومثل قوله ﷺ « تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكتفأ احدكم خبزته في سفره نزلا لاهل

الجنة»[1] وذكر احاديث مثل قوله «بيدي الامر» «والخير في[2] يديك» «والذي نفس محمد بيده» و«ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل» وقوله «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين» وقوله «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟ ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟» وقوله «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يخفض ويرفع» وكل هذه الاحاديث في الصحاح وذكر ايضا قوله «ان الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر ايهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة» وحديث «ان الله لما خلق آدم مسح على ظهره» الى احاديث اخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي: اما المتقدمون من هذه الامة فانهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والاخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع انه يحكى قول بعض المتأخرين

وقال القاضي ابو يعلى[3] في كتاب ابطال التأويل لا يجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات الله لا تشبه (صفات) سائر الموصوفين بها من سائر الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ما روي عن الامام احمد وسائر الائمة ـ وذكر بعض كلام الزهري ومكحول ومالك والثوري

(١) رواه البخارى فى باب يقبض الله الاض من كتاب الرقاق من صحيحه

(٢) بيديك (٣) عالم العراق أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء البغدادى الحنبلى: كان آية فى معرفة مذهب الامام أحمد صنف التصانيف الفائقة توفى سنة ٤٥٨ اه من العلو للذهبى

والاوزاعي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي واسود بن سالم واسحاق بن راهويه وابي عبيد ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب - وفي حكاية الفاظهم طول - الى ان قال ويدل على ابطال التأويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها فلو كان التأويل سائغا لكانوا اسبق اليه لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة

وقال ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعري[1] المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة اليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ، ومقالات الاسلاميين - وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة[2] وغيرهم ثم قال (مقالة اهل السنة واصحاب الحديث جملة) قول اصحاب الحديث واهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون شيئا من ذلك ، وان الله واحد احد فرد صمد لا اله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق والنار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ، وان الله على عرشه كما قال ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ وان له يدين بلا كيف كما قال ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وكما قال ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وان له عينين بلا كيف كما قال ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وان له وجها كما قال ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وان اسماء الله تعالى لا يقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج واقروا ان لله علما كما قال ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ وكما قال ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ واثبتوا له السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة واثبتوا لله القوة كما قال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ

---

(١) توفى سنة ٣٢٤ هـ (٢) يأتى بيانهم ص ٧٢

مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ وذكر مذهبهم في القدر - الى ان قال ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف ، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون ان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأشياء - الى ان قال : ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على احد من اهل الكبائر بالنار - الى ان قال « وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه اهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ويسلمون الروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ لا يقولون كيف ولا لم لان ذلك بدعة - الى ان قال : ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ وان الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ - الى ان قال ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب قال « فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون اليه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله وهو المستعان

وقال الاشعري ايضا في اختلاف اهل القبلة في العرش فقال « قال اهل السنة واصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه استوى على العرش كما قال ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ولا نتقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾

وان له يدين كما قال ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وان له عينين كما قال ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وانه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ وانه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئا الا ما وجدوه في الكتاب او جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ وقالت المعتزلة : ان الله استوى على العرش بمعنى استولى وذكر مقالات آخر

وقال ايضا ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه الابانة في اصول الديانة ـ وقد ذكر اصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه ـ فقال :(فصل في ابانة قول اهل الحق والسنة) فان قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة [١] والقدرية [٢] والجهمية [٣] والحرورية [٤] والرافضة [٥] والمرجئة [٦] فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون (قيل له) قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به ابو عبد الله احمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي ابان الله به الحق ورفع به الضلال واوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

---

(١) فرقة من المبتدعة تنكر صفات الله ورؤيته (٢) من ينكرون القدر ويقولون الأمر أنف (٣) أتباع جهم ينكرون صفات الله (٤) هم الخوارج منسوبون الى حروراء محل بالعراق اعتصموا به لما خرجوا على على رضى الله عنه

(٥) الرافضة هم الشيعة سموا بذلك لرفضهم زيد بن على بن الحسين لما تولى أبا بكر وعمر (٦) المرجئة هم من لايدخل العمل فى الايمان بل الايمان عندهم هو التصديق، فقط ويقولون لاتضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئا ؛ وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ؛ وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وان الجنة حق ، والنار حق ، وان الساعة آتية ، وان الله يبعث من في القبور ، وان الله مستو على عرشه كما قال ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ وان له وجها كما قال ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وان له يدين بلا كيف كما قال ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وكما قال ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ وان له عينين بلا كيف كما قال ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ - وان من زعم ان اسماء الله غيره كان ضالا ، وذكر نحوا مما ذكر في الفرق الى ان قال « ونقول ان الاسلام اوسع من الايمان وليس كل اسلام ايمانا ، وندين بان الله يقلب القلوب بين اصبعين من اصابع الله عز وجل وانه عز وجل يضع السموات على اصبع والارضين على اصبع كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ[1] - الى ان قال : وان الايمان قول وعمل يزيد و ينقص ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى الى رسول الله ﷺ - الى ان قال ونصدق بجميع الروايات التي اثبتها اهل النقل من النزول الى سماء الدنيا وان الرب عز وجل « يقول هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ » وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافا لما قال اهل الزيغ والتضليل ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، واجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ وان الله يقرب

---

(١) تقدم لفظها وتخريجها فى حاشية ص ٢٧

من عبـاده كيف شاء كما قال ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ وكما قال ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْأَدْنَىٰ ﴾

الى ان قال « وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا »

ثم تكلم على ان الله يرى واستدل على ذلك ، ثم تكلم على ان القرآن غـير مخلوق واستدل على ذلك ، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال لا أقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه

ثم قال : (باب ذكر الاستواء على العرش) فقال ان قال قائل ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له : نقول ان الله مستو على عرشه كما قال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ قال تعالى ﴿ بَلْ رَفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى حكاية عن فرعون ﴿ يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾ كذب موسى في قوله إن الله فوق السموات ، وقال تعالى ﴿ أَءَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال (أءمنتم من في السماء) لانه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء فالعرش اعلى السموات وليس اذا قال (أءمنتم من في السماء) يعني جميع السماء وانما اراد العرش الذي هو اعلى السموات ، الا ترى ان الله عز وجل ذكر السموات فقال تعالى ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً ﴾ فلم يُرد ان القمر يملؤهن وانه فيهن جميعا ، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون ايديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذي هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش كما لا يحطونها اذا دعوا الى الارض

ثم قال[١] « (فصل) وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ انه استولى وقهر وملك وان الله عز وجل في كل مكان وجحدوا ان يكون الله على عرشه كما قال اهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة ، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء مستول عليها ، واذا كان قادرا على الاشياء كلها ولم يجز عند احد من المسلمين ان يقول : إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز ان يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ، و وجب ان يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الاشياء كلها

وذكر[١] دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل

ثم قال[١] : (باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين) وذكر[١] الآيات على ذلك ورد على المتاولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته مثل قوله فان سُئلنا أتقولون لله يدان ؟ (قيل) نقول ذلك وقد دل عليه قوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وقوله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وروي عن النبي ﷺ انه قال « ان الله مسح ظهر آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده » وقد جاء في الخبر المذكور عن النبي ﷺ « ان الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده » وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة اهل الخطاب ان يقول القائل عملت كذا بيدي ويريد بها النعمة واذا كان الله انما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما

---

(١) يعني الاشعرى

في كلامها ومعقولا في خطابها وكان لا يجوز في خطاب اهل اللسان ان يقول القائل فعلت بيدي و يعني بها النعمة بطل ان يكون معنى قوله تعالى (بيدي)النعمة وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه

وقال القاضي ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني [1] المتكلم وهو افضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده قال في كتاب الابانة تصنيفه « فان قال فما الدليل على ان لله وجهاً و يداً ؟ قيل له قوله ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فاثبت لنفسه وجهاً و يداً (فان قال.) فلمَ انكرتم ان يكون وجهه و يده جارحة ؟ ان كنتم لا تعقلون وجهاً و يداً إلا جارحة (قلنا)لا يجب هذا كما لا يجب اذا لم نعقل حياً عالما قادراً إلا جسما أن نقضي نحن وانتم بذلك على الله سبحانه وتعالى ، وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته ان يكون جوهرا لانا واياكم لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا الا كذلك ، وكذلك الجواب لهم ان قالوا فيجب ان يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا بالوجود

وقال « فان قال فهل تقولون انه في كل مكان؟ (قيل له :) معاذ الله بل مستو على عرشه كما اخبر في كتابه فقال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وقال الله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وقال ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ قال : ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ولوجب ان يزيد بزيادة الامكنة اذا خلق منها ما لم يكن و ينقص بنقصانها اذا بطل منها ما كان ، ولصح ان يرغب اليه الى نحو الارض والى خلفنا والى يميننا والى شمالنا و هذا قد اجمع المسلمون على خلافه و تخطئة قائله

(١) توفى سنة ٤٠٣ هـ له ترجمة طويلة فى تاريخ ابن خلكان فراجعها ان شئت

وقال[1] ايضا في هذا الكتاب : صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهي الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والارادة ، والبقاء والوجه والعينان ، واليدان والغضب والرضاء

وقال في كتاب التمهيد[2] كلاما اكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه وان كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر ان يهب الله للعبد حكمة وايمانا بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين[3] ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء ولكن كثيرا من الناس قد صار منتسباً الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا للظن بهم دون غيرهم ومتوهما انهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أُتي بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم ، فلو انهم اخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام اسلافهم لرُجي لهم مع الصدق في طلب الحق ان يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فان اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما انزل علينا قال الله تعالى لهم (فلم تقتلون انبياء من قبل ان كنتم مؤمنين) أي ان كنتم مؤمنين بما انزل عليكم ، يقول سبحانه وتعالى لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون ، ولا لما جاءتكم به سائر الانبياء تتبعون ولكن انما تتبعون اهواءكم ، فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان

---

(١) اى الباقلانى (٢) ألفه لابن الملك عضد الدولة فنا خسرو

(٣) اى يتدين

وكذلك قال ابو المعالي[1] الجويني في كتابه الرسالة النظامية اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن ، وذهب ائمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الرب - فقال «والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا[2] اتباع سلف ، الامة والدليل السمعي القاطع في ذلك اجماع الامة (وهو) حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها - وهم صفوة الاسلام والمستقلون باعباء[3] الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها - فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا او محتوما لأوشك ان يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة واذا انصرم عصرهم و عصر التابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي الدين ان يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات و يكل معناها الى الرب تعالى فليجر اية الاستواء او المجيء وقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ـ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وقوله ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وما صح من اخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه اهـ

(قلت)[4] وليعلم السائل ان الغرض من هذا الجواب ذكر الفاظ بعض ائمة العلماء الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به ، وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ابو المعالي بن ابي محمد الجويني امام الحرمين لمجاورته فيهما اربع سنوات ينشر العلم توفي سنة ٤٧٨ هـ

(٢) عقدا بفتح العين أي اعتقادا (٣) ن: المشتغلون باعلاء (٤) أي المصنف

ابوداود في سننه: "اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافراً ـ اوقال فاجراً ، واحذروا زيغة الحكيم ، قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال ان على الحق نورا أوكلاما هذا معناه

فاما تقرير ذلك بالدليل واماطة ما يعرض من الشبهة وتحقيق الامر على وجه يخلص الى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف اراء العباد في هذه المهامه ، فما تتسع له هذه الفتوى وقد كتبت شيئا من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما اكتب انشاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود

وجماع الامر في ذلك ان الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق واعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد في اسماء الله وآياته

ولا يحسب الحاسب ان شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل ان يقول القائل ما في الكتاب والسنة من ان الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ وقوله ﷺ « اذ قام احدكم الى الصلاة فان الله قِبل وجهه[1] » ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فاخبر انه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا اينما كنا كما قال النبي ﷺ في حديث الاوعال « والله فوق العرش وهو يعلم ما انتم عليه[2] » وذلك ان كلمة (مع) في اللغة اذا اطلقت فليس ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة او محاذاة عن

---

(١) قبل بكسر ففتح أى مقابله

(٢) رواه الترمذي وحسنه كما فى العلو للذهبى ص ١٧

بمين او شمال فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فانه يقال: مازلنا نسير والقمر معنا او النجم معنا او يقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك وان كان فوق رأسك ، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هذه المعية تختلف احكامها بحسب الموارد فلما قال ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ الى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ دل ظاهر الخطاب على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف انه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته وكذلك في قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الى قوله ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ الآية ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ كان هذا ايضا حقا على ظاهره ودلت الحال على ان حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد وكذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ وكذلك قوله لموسى وهارون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد ، وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي ويشرف عليه ابوه من فوق السقف فيقول : لا تخف ، انا معك او انا هنا ، او انا حاضر ، ونحو ذلك ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع امورا لا يقتضيها في الموضع الآخر (فاما) ان تختلف دلالتها بحسب المواضع او تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها — وان امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها ان يكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فانها وان اشتركت في اصل الربوبية والتعبيد فلما قال (رب العالمين رب موسى وهارون)

كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فان من اعطاه الله من الكمال اكثر مما اعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية اكمل من غيره وكذلك قوله ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ و ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ فان العبد تارة يعني به المعبد فيعم الخلق كما في قوله ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً ﴾ وتارة يعني به العابد فيخص ثم يختلفون ، فمن كان اعبد علما وحالا كانت عبوديته اكمل فكانت الاضافة في حقه اكمل مع انها حقيقة في جميع المواضع

ومثل هذه الالفاظ يسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل الاسماء المتواطئة او من قبيل المشتركة في اللفظ فقط ، والمحققون يعلمون انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة إذ واضع اللغة انما وضع اللفظ بازاء القدر المشترك ـ وان كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ

ومن علم ان المعية تضاف الى كل نوع من انواع المخلوقات كاضافة الربوبية مثلا وان الاستواء على الشيء ليس الا للعرش وان الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازاً علم ان القرآن على ما هو عليه من غير تحريف

ثم من توهم ان كون الله في السماء بمعنى ان السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ـ ان نقله عن غيره ، وضال ـ ان اعتقده في ربه ، وما سمعنا احدا يفهمه من اللفظ ولا رأينا احدا نقله عن واحد ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله (إن الله في السماء) ان السماء تحويه لبادر كل احد منهم إلى ان يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا واذا كان الامر هكذا فمن التكلف ان يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد ان يتأوله بل عند المسلمين (ان الله في السماء) (وهو على العرش) واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله في العلو لا في السفل ، وقد علم المسلمون ان

كرسيه سبحانه وتعالى ومع السموات والارض ، وان الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له الى قدرة الله وعظمته ، فكيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره ويحويه ؟ وقد قال سبحانه ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ وقال ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بمعنى (على) ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله ﷺ « اذا قام احدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه » الحديث[1] حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو انه يناجي السماء او يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت ايضا قبل وجهه وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك ولله المثل الاعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبي ﷺ « ما منكم من احد الا سيرى ربه مخليا به » فقال له ابو رزين العقيلي كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال النبي ﷺ « سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من ايات الله فالله أكبر[2] » أو كما قال النبي ﷺ وقال « انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر » فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي مشابها للمرئي فالمؤمنون اذا راوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة اصلا

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون اقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس في مواضع منها في باب حك البزاق الخ من كتاب الصلاة (٢) رواه أبو داود في باب الرؤية من كتاب شرح السنة في سننه من حديث ابي رزين العقيلي .

(واعلم) أن من المتأخرين من يقول : مذهب السلف اقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا اللفظ مجمل فان قوله : ظاهرها غير مراد يحتمل انه اراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل ان يراد بكون الله قبل وجه المصلي انه مستقر في الحائط الذي يصلي اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلاشك ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد اصاب في المعنى لكن اخطأ باطلاق القول بان هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع اللهم الا ان يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذورا في هذا الاطلاق . فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف احوال الناس وهو من الامور النسبية . وكان احسن من هذا ان يبين لمن اعتقد أن[1] هذا هو الظاهر أن[2] هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد اعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظا ومعنى ، وان كان الناقل عن السلف اراد بقوله : الظاهر غير مراد عندهم ان المعاني التي تظهر من هذه الايات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله او جائزة عليه جوازا ذهنيا أو جوازا خارجيا غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف او تعمد الكذب فما يمكن أحداً قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لا نصا ولا ظاهرا انهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة . وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون ان طريقة اهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى ولكن السلف سكتوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة الى ذلك ، ويقولون : الفرق ان هؤلاء قد يعينون

(١) ان الاولى مفعول اعتقد وأن الثانية مفعول يبين .

المراد بالتأويل والثلث لا يعينون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق كذب صريح على السلف، أما في كثير من الصفات فقطعاً مثل ان الله تعالى فوق العرش فانه من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة، وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك .

والله يعلم اني بعد البحث التام ومطالعة ما امكن من كلام السلف ما رايت كلام احد منهم يدل لا نصاً ولا ظاهراً ولا بالقرائن على نفي الصفات الخبرية في نفس الامر بل الذى رايته ان كثيراً من كلامهم يدل - اما نصاً واما ظاهراً - على تقرير جنس هذه الصفات ولا انقل عن كل واحد منهم اثبات كل صفة بل الذي رايته انهم يثبتون جنسها في الجملة وما رايت احداً منهم نفاها وانما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفي الصفات ايضاً كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها

وكانوا اذا راوا الرجل قد اغرق في نفي التشبيه من غير اثبات الصفات قالوا هذا جهمي معطل، وهذا كثير جدا في كلامهم فان الجهمية والمعتزلة الى اليوم يسمون من اثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتى ان منهم من غلا ورمى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك حتى قال ثمامة بن الاشرس [1] من رؤساء الجهمية

(١) ابو معن النميري البصري من كبار المعتزلة ومن رءوس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم المأمون كان ذا نوادر وملح الخ ما ذكره الذهبي في ترجمته في الميزان قال ابن قتيبة كان ثمامة من رقة الدين وتنقيص الاسلام والاستهزاء به وارسال لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله ويؤمن به الخ ما ذكره في لسان الميزان وحقق أن وفاته كانت سنة ثلاثة عشر يعني بعد المائتين من الهجرة

: ثلاثة من الانبياء مشبهة موسى حيث قال ﴿ إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ ﴾ وعيسى حيث قال ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ومحمد حيث قال «ينزل ربنا» وحتى ان جل المعتزلة تدخل عامة الائمة مثل مالك واصحابه والثوري واصحابه والاوزاعي واصحابه والشافعي واصحابه واحمد واصحابه واسحاق بن راهويه وابي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة

وقد صنف ابو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي (١) جزأ سماه (تنزيه ائمة الشريعة عن الالقاب الشنيعة) ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب وذكر ان اهل البدع كل صنف منهم يلقب اهل السنة بلقب افتراه يزعم انه صحيح على رايه الفاسد كما ان المشركين كانوا يلقبون النبي بالقاب افتروها ، فالروافض تسميهم نواصب ، والقدرية يسمونهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا ، والجهمية تسميهم مشبهة ، واهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثرا الى امثال ذلك كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارة مجنونا وتارة شاعرا وتارة كاهنا وتارة مفتريا . قالوا فهذا علامة الارث الصحيح والمتابعة التامة قالوا فان السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ واصحابه إعتقادا واقتصادا وقولا وعملا فكما ان المنحرفين عنه يسمونهم باسماء مذمومة مكذوبة وان لم يعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم اولى الناس به في المحيا والممات باطنا وظاهرا واما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر ، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن ، والذين وافقوه ظاهرا وباطنا بحسب الامكان فلا بد للمنحرفين عن سنته ان يعتقدوا فيهم نقصا يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضي من لم

(١) ترجمة عثمان بن عيسى بن درباس الشافعي في ابن خلكان وشذرات الذهب توفي بعد الستمائة فالذي هنا اما ولده ان لم يكن تحريفا

يبغض ابا بكر رضي الله عنه وعمر فقد ابغض عليا لانه لا ولاية لعلي الا بالبراءة منهما ثم يجعل من احب ابا بكر وعمر ناصبياً بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة او عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدرية من اعتقد ان الله اراد الكائنات وخلق افعال العباد فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا ارادة لها ولا قدرة

وكقول الجهمي من قال ان الله فوق العرش فقد زعم انه محصور وانه جسم مركب محدود وانه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المعتزلة من قال ان لله علما وقدرة فقد زعم انه جسم مركب وانه مشبه لان هذه الصفات اعراض والعرض لا يقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم مركب او جوهر فرد ومن قال ذلك فهو مشبه لان الاجسام متماثلة

ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم التي هم مخالفون لهم فيها فهو وربه والله من ورائه بالمرصاد ولا يحيق المكر السيء الا باهله

ومجماع الامر ان الاقسام الممكنة في آيات الصفات واحاديثها ستة اقسام كل قسم عليه طائفة من اهل القبلة (قسمان) يقولون تجري على ظواهرها (وقسمان) يقولون هي على خلاف ظاهرها (وقسمان) يسكتون

اما الاولون فقسمان (احدهما) من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل انكره السلف وإليه توجه الرد بالحق (الثاني) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجرى ظاهر اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فان ظاهر هذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر محدث واما عرض قائم به فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض والوجه واليد والعين في حقه اجسام فاذا كان الله

موصوفا عند عامة اهل الاثبات بان له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم يكن ذلك عرضا يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز ان يكون وجه الله ويداه صفات ليست اجساما يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف ، وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو امر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس صفات المخلوقات فمن قال: لا اعقل علما ويدا الا من جنس العلم واليد المعهودين قيل له : فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات[1] المخلوقين ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه

وما احسن ما قال بعضهم إذا قال لك الجهمي كيف استوى او كيف ينزل الى سماء الدنيا او كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لا يعلم ما هو الا هو وكنه البارى تعالى غير معلوم للبشر فقل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن ان تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك .

بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس انه قال : ليس في الدنيا مما في الجنة[2] الا الاسماء ، وقد اخبر الله تعالى انه لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واخبر النبي ﷺ ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص عن بيان كيفيتها افلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى مع انا نقطع

---

(١) ن : صفات (٢) : ن الآخرة

بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتعرج الى السماء وانها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي ان تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا ان يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد اخطئوا في اللفظ وانى لهم بذلك

واما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها اعنى الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط وان الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما او يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة او الثمانية او الخمسة عشر او يثبتون الاحوال دون الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى او بمعنى علو المكانة والقدر او بمعنى ظهور نوره للعرش او بمعنى انتهاء الخلق اليه الى غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون : الله اعلم بما اراد بها لكنا نعلم انه لم يرد اثبات صفة خارجية عما علمناه

واما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز ان يكون ظاهر المراد اللائق بجلال الله ويجوز ان لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والسنتهم عن هذه التقديرات فهذه الاقسام الستة كلها لا يمكن ان يخرج الرجل عن قسم منها

والصواب في كثير من آيات الصفات واحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه وتعالى فوق عرشه ويعلم طريقة الصواب في هذا وامثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على ذلك دلالة

لا تحتمل النقيض وفي بعضهـا قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والايمان ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ومن اشتبه عليه ذلك او غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ اذا قام يصلي من الليل قال « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » وفي رواية لابي داود انه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك ، فاذا افتقر العبد الى الله ودعاه ، وادمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وائمة المسلمين انفتح له طريق الهدى ثم ان كان قد خبر نهايات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة ورأى ان غالب ما يعتمدونه يؤول الى دعوى لا حقيقة لها او شبهة مركبة من قياس فاسد ، او قضية كلية لاتصح الاجزئية ، او دعوى اجماع لاحقيقة له أو التمسك في المذهب والدليل بالالفاظ المشتركة ثم ان ذلك اذا ركب بالفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم اوهمت الغرّ ما يوهمه السراب للعطشان ثم ازداد ايمانا وعلما بما جاء به الكتاب والسنة فان (الضد يظهر حسنه الضد) وكل من كان بالباطل اعلم كان للحق اشد تعظيما وبقدره أعرف فاما المتوسطون [1] من المتكلمين فيخاف عليهم [2] مالايخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد انهاه نهايته فان من لم يدخل فيه فهو في عافية ومن انهاه فقد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر واذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله واما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظمة هؤلاء وقد قال بعض الناس اكثر مايفسد الدنيا نصف

---

(١) ن : المتوسط (٢) ن : عليه

متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي، هذا يفسد الاديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الابدان ، وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب (في قول مختلف يؤفك عنه من افك) يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وان حجته ليست ببينة وانما هي كما قيل فيها .

حجج تهافت كالزجاج تخالها * حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير بهم انهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال : حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على الكلام ، ومن وجه اخر اذا نظرت اليهم بعين القدر ، والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورققت عليهم . اوتوا ذكاء وما اوتوا زكاء[٢] اعطوا فهوماً وما اعطوا علوما ، واعطوا سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ومن كان عليما بهذه الامور تبين له بذلك حذق[٢] السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا اهله وعابوهم وعلم ان من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد الا بعداً فنسأل الله العظيم ان يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين واله وصحبه اجمعين

---

(٢) ذكاء الاولى بالذال المعجمة بمعنى توقد الفهم وزكاء الثانية بالزاى بمعنى الطهارة والبركة .

تمت بحمد الله تعالى « الفتوى الحموية » ويليها « الرسالة المدنية » في تحقيق (المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى)

فهرست

الفتوى الحموية الكبرى

صحيفة